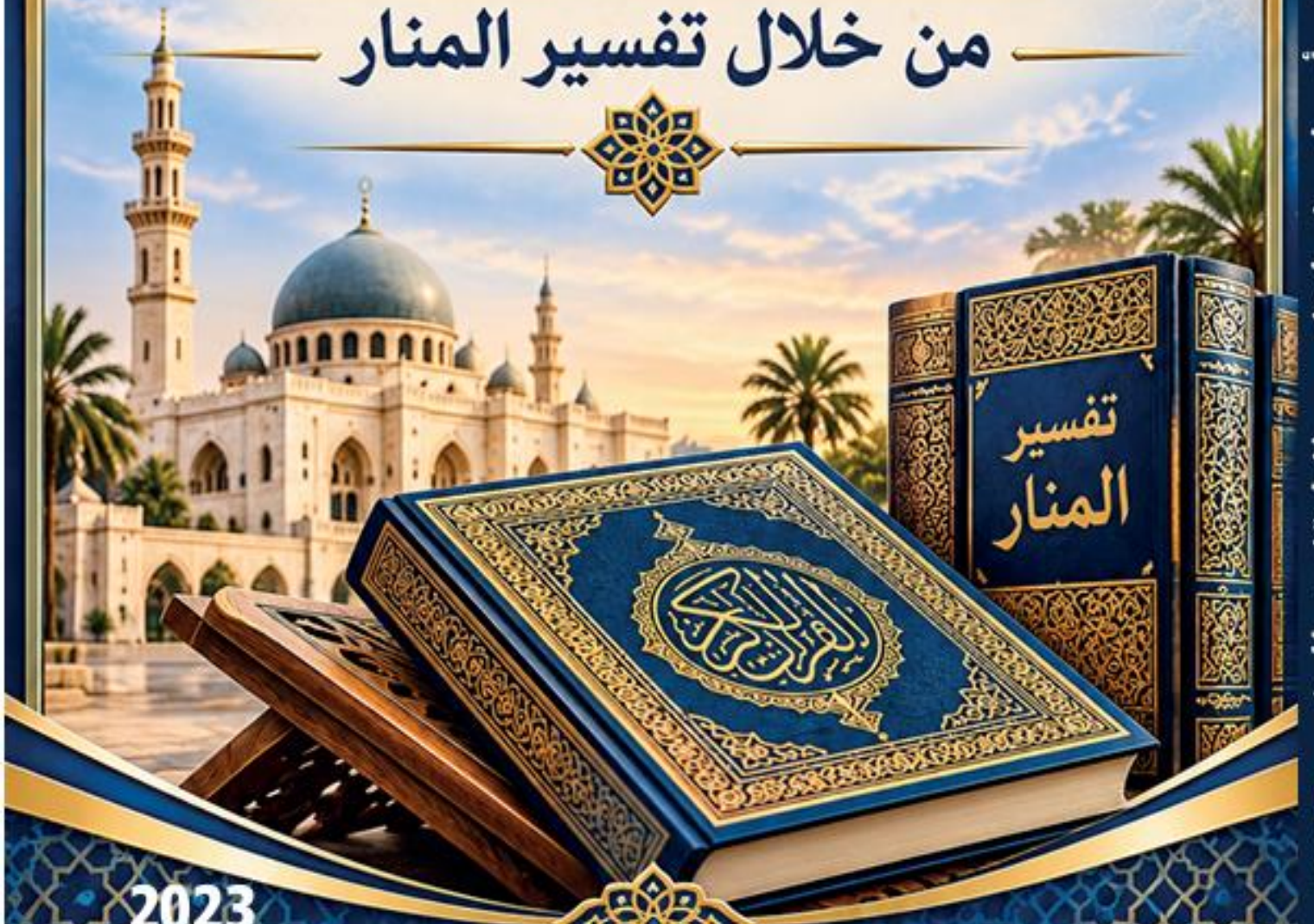
دة أنوار أم كلثوم
باحثة في الدراسات الإسلامية

الحوار في القرآن الكريم

أصوله وضوابطه

من خلال تفسير المنار



2023

دة أنوار ام كلثوم باحثة في الدراسات الإسلامي
الحوار في القران الكريم أصوله وضوابطه من خلال تفسير المنر
2023

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه، ملئ السماوات وملئ الأرض، أحمده سبحانه حمد الشاكرين لنعمه، المقرين بعظيم قدرته وفضله على الناس، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، وحبيبه وخليله، البشير النذير، الذي جسد مواقف من الحوار الراقي المتميز للإنسانية، وجاءت رسالته هادية للناس، ولإقناع المخالفين المجادلين، ومحاججة المنكرين والجاحدين بالحجة والبرهان، صلى الله عليه وسلم، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين.

أما بعد؛

يندرج الحديث عن موضوع "الحوار في القرآن الكريم؛ أصوله وضوابطه" ضمن الحديث عن إبراز محاسن المنظومة القيمية المبثوثة في كلام الله تعالى؛ ففي القرآن الكريم، نجد صورة متكاملة للحوار من حيث أصولها وضوابطها، وتصلح للتنزيل في كل زمان ومكان.

ولأن الحوار مرتبط بالكلمة والبيان، فقد شكل نزول القرآن بلسان عربي نواة التعبير القرآني التي هي الكلمة، فالله تعالى يقول: **(وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ)**(1).

والإسلام دين العقل والحرية، ضمن ضوابط معينة. فنجده يتحدث في عدد من آيات القرآن الكريم عن العقل والتعقل والتفكر التي هي دعوة إلى وجود الثنائية والتعددية في الرأي، لأن العقل يعني الاختلاف المسبب للتنافس البنّاء.

ومن ثم، يوفر الحوار مع عموم المخالفين من أهل الأديان والملل والنحل، ومن بينهم أهل الكتاب مساحة كبرى للاتفاق والتوافق، ولتجسيد ذلك، نجد القرآن في منهجيته التأسيسية للحوار معهم، يعرف بهم ويقربهم إلى الذي يريد أن يتحاور معهم.

---

(1) سورة لقمان، الآية:26

ومن أبرز مظاهر مصداقية الخطاب القرآني بشأن أهل الأديان، أنه يعترف بالآخر مبدئيا، ويقر بالاختلاف ويعتبره سنة إلهية في الخلق، كما أنه يؤصل لمبادئ وآداب ومنطلقات التحاور مع الآخر، زد على ذلك أن المنهج القرآني يتسم بالعدل والإنصاف تجاه الآخر، ولا أدل على ذلك من إنصاف أهل الصدق والورع منهم، فليسوا سواء، منهم الصادقون الذين ينشدون الحق ويتبعونه عندما يتبين لهم. مؤصلا لقاعدة جليلة هي: **عدم التعميم**. وهذا النهج ينطبق على كل المخالفين الذين حاورهم القرآن الكريم، إذ يمدح ماهم عليه من حق _إن وجد_، وفي المقابل يفضح ويدحض ما هم عليه من باطل، ويدعوهم إلى اتباع الحق.

أهمية البحث:

تتجلى أهمية هذا البحث في تقدير مدى التأمل في النماذج والصور التي تناولها القرآن الكريم في مادة الحوار، وهي نماذج حوارية متعددة، بل إن أغلب مشاهد القرآن الكريم حوارية أو على الأقل دعوة إلى استخدام العقل من تدبر وتأمل وتفكر في سنة الاختلاف والتنوع والتعدد، وهذا الاستخدام لن يكون أكثر فائدة إلا إذا كان منخرطا في عملية حوارية حازت كل مقومات وشروط الحوار.

وتنبع أهمية البحث في قضية الحوار من القرآن الكريم، من خلال بيان أصوله وضوابطه، والتي تعزز مكانته الثابتة في المنظومة القيمية الإسلامية. وبذلك يكون القرآن الكريم قد أرسى الدعائم الضرورية لتأسيس العقل المنهجي السليم الذي ينطلق من تعميق النظر في سنن الكون.

فالقرآن الكريم لم يكن يوما ضد العقل والمنطق في حواره مع الآخرين، بل كان يقبل بالمخالفين، ولم يمارس أي شكل من أشكال التضييق عليهم أو صادر حقهم في التعبير أو القول، بل الأكبر من ذلك أن الله تعالى حافظ على أقوالهم كما قالوها، وجعلها آيات يتعبد بتلاوتها وتتلى إلى يوم الدين، مثل:

قول الله تعالى: **(لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ)**(1)،

وقوله أيضا: **(لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)**(2).

وغيرها كثير من الأقوال والأعمال التي وقعت من قبل الآخرين، وهذا فيه دعم قوي للمسلم في أن يتسع صدره وينشرح للآخرين وأن ينطلق لسانه إلى ممارسة وظيفته الجبلية الفطرية في التواصل بالخير والمعروف بين الناس بمختلف مواقعهم ومواقفهم، من أجل التأسيس لكلمة السواء؛ الحد الأدنى من التعايش والتساكن.

دواعي اختيار البحث:

ترجع دواعي اختيار البحث في موضوع الحوار، إلى رغبتي في استكمال الغوص في قضايا القرآن الكريم، ولعل قضية الحوار هي إحدى القضايا المثارة فيه، وذلك من خلال القصص القرآنية، ومختلف المشاهد الحوارية التي عاشها الأنبياء والمرسلون مع أقوامهم، وهي تلخص وضعيات مختلفة لعلها تنفع في معالجة بعض الاختلالات التصورية التي نعيشها في وقتنا المعاصر.

وحاجة الأمة الإسلامية، اليوم، إلى مزيد من التعمق في موضوعات القرآن الكريم من أجل استيقاء نظرات لتيسير تنزيل أصول الحوار وضوابطه على واقعنا المعاصر، حتى يسهم المسلمون في إرساء ثقافة حوارية قادرة على إنجاح الحياة العامة والمشتركة بين بني البشر، وهذا من شأنه خدمة إحدى الغايات العلمية لماستر "**العلوم الشرعية والبناء الحضاري**"، وذلك من جهة إبراز قيمة

(1) سورة آل عمران، الآية:181
(2) سورة المائدة، الآية:75

التناول العلمي لقضايا مجتمعية معاصرة في سياق بناء حضاري ممدود الصلة بالعلوم الشرعية.

أهداف البحث:

تتجلى أهداف البحث في القرآن الكريم عن قضية الحوار؛ أصولا وضوابط، في بناء أسس العلاقات الإنسانية، وتكييف الاختلاف الحاصل بين بني البشر، وجعله عنصرا من عناصر البناء والتكامل. ويبقى هدفا نبيلا ومقاما محمودا، إذا استحضرنا التاريخ بحمولته وإنتاجاته وأسئلته الكبيرة، على اعتبار أن القرآن الكريم؛ خاتم الكتب والأديان السماوية ومبشرا بصلاحيته الأبدية لكل الأزمنة والأمكنة، وهو المرشد الوحيد لكافة البشر في أن يقيموا حوارا فيما بينهم وأن يعملوا على إيجاد وجود اجتماعي له، من خلاله يحصل التعارف والتواصل وصولا إلى التمكين الذي وعده الله تعالى لخلقه.

إشكالية البحث:

إذا كانت المشكلة التي تعانيها الأمة الإسلامية اليوم هي الاختلاف المذموم، والتضاد المفضي إلى الشحناء وسوء الفهم، فإن الحوار يبقى الطريق الأمثل لتحقيق التعايش والائتلاف بدل الصراع والاقتتال، ومن تم تتجدد الدعوة إلى ضرورة الاغتراف من مَعين الرسالات وجوهر الشرائع التي تدعو إلى الحوار والتفاهم بهدف الوصول إلى الكلمة السواء على منوال التعارف والتكامل مع الآخر وإنزاله المنزلة التي يستحقها في إطار يسمح بتداول سليم لآلية الاختلاف. فإلى أي حد يمكن أن تسهم أصول الحوار وضوابطه المستنبطة من القرآن الكريم في بناء أسس العلاقات الإنسانية، وتكييف الاختلاف الحاصل بين بني البشر، وجعله عنصرا من عناصر التكامل الإنساني؟.

أسباب اختيار نموذج الدراسة:

لقد وقع الاختيار على تفسير المنار للشيخ محمد رشيد رضا، وهو من التفاسير المتأخرة زمنيا عن جيل المفسرين الأوائل، حيث جمع فيه الشيخ رشيد رضا نظر المفسرين السابقين، ونظر شيخه محمد عبده، أحد رواد النهضة العربية إلى جانب جمال الدين الأفغاني، إلى الواقع الذي عاش فيه. وهو التفسير الذي استغرق فيه الشيخ رشيد رضا مدة تزيد على الثلاثين عاماً (ما بين 1317 هـ/ 1899م و1354 هـ/ 1935م).

ولعل جزءا من مشاكل الأمة الإسلامية تعود إلى البدايات الأولى من القرن الماضي، حيث دخول الاستعمار الأجنبي إلى العديد من الدول العربية والإسلامية، إلى جانب غزو العديد من الأطروحات الفلسفية والإيديولوجية بلاد المسلمين، فكان لزاما اختيار تفسير عاش صاحبه جزء من أزمة النهضة العربية والإسلامية، وهو ما كان لدى الشيخ رشيد رضا رحمه الله. فـ "التفسير الذي نطلبه هو فهم الكتاب من حيث هو دين يرشد الناس إلى ما فيه سعادتهم في حياتهم الدنيا وحياتهم الآخرة، فإن هذا هو المقصد الأعلى منه"(1).

الدراسات السابقة:

حظي موضوع الحوار بكثير من الدراسات البحثية، والتي كانت في مجالات وسياقات مختلفة، وتناولت جوانب متعددة من هذا الموضوع، يشهد لذلك ما تزخر به المكتبة الإسلامية من مؤلفات بهذا الشأن، وخصوصا تلك الدراسات التي تناولت قضايا الحوار من خلال القرآن الكريم، من حيث مفهومه وآدابه وأهدافه ومنهج القرآن الكريم في الحوار. علاوة على التي تخصصت في حوار أو مجادلة أهل الكتاب انطلاقا من القرآن الكريم. على اعتبار أن القرآن جاء حافلا بعدة مواضع ومشاهد للحوار.

(1) تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، محمد رشيد رضا، ج/1، نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب 1990، ص:17/1.

وإذا كانت بعض الرسائل الجامعية التي تناولت تفسير المنار؛ من خلال موضوعاته، وذلك بحكم أن تفسير الشيخ محمد رشيد رضا يعد من التفاسير الحديثة التي جمعت بين التفسير بالآثر والتفسير بالرأي لقضايا قرآنية في ضوء واقع عرف تراجع النهضة العربية والإسلامية، وتساقط العديد من الدول العربية والإسلامية أمام الاستعمار الأجنبي.

قد يعد البحث في أصول الحوار وضوابطه من خلال تفسير المنار، بحثا جديرا بالاهتمام، خصوصا، وأن مؤلفه رشيد رضا..

ويعتبر كتاب "الحوار في القرآن"، لمحمد حسين فضل الله، الصادر في نهاية السبعينات من القرن الماضي، من بين أهم الرسائل التي تناولت مسألة الحوار في القرآن الكريم، حيث تبعتها رسائل أخرى في نفس الموضوع وفي سياقات مختلفة، أما البحث عن منهج الحوار في القرآن الكريم، ومن زاوية أحد المفسرين، فهذا يعتبر عملا جديدا في الساحة البحثية، وهو ما حاولت تلمسه من خلال اختياري لتفسير المنار للشيخ محمد رشيد رضا.

منهج البحث:

فرضت طبيعة هذا الموضوع تناوله من خلال المنهج الوصفي التحليلي، والمنهج التوثيقي، والمنهج الحواري التقابلي:

المنهج "الوصفي التحليلي" الذي يقوم على الوصف والتقرير، وسيفيد في التعرف على المجالات المؤثرة في موضوع الحوار، وخاصة فيما يتصل بعملية الاستدلال التحليلي، وذلك بهدف استنباط المادة العلمية التي تخدم قضية البحث وإشكاله الرئيس.

المنهج التوثيقي، والذي يقوم باستقراء المادة العلمية المتوفرة في مضانها، من خلال عمليتي الجمع والتحقيق، وهو على خلاف المنهج السابق؛ فهو ينطلق من الجزئيات ليقرر القوانين الناظمة والجامعة.

المنهج الحواري التقابلي، والذي يعمل على مسألة التقابل والتناظر والمقارنة بين مختلف القضايا التي تم رصدها في هذا الموضوع.

خطة البحث:

تتناول خطة البحث تمهيد وفصلين، ففي التمهيد سيتم تناول تعري تفسير المنار، ومؤلفه الشيخ محمد رشيد رضا، كما سيتم بيان مفهوم الحوار ومشتقاته ومواصفاته ووظائفه، وفي الفصل الأول سيتم بيان أصول الحوار من خلال تفسير المنار لرشيد رضا، وفي الفصل الثاني سيتم تحليل ضوابط الحوار من خلال تفسير المنا.

تمهيد:

الحوار، مفهومه ومشتقاته ومواصفاته ووظائفه

أولا: التعريف بالشيخ محمد رشيد رضا وتفسيره

1. ترجمة الشيخ محمد رشيد رضا:

يرجع أصل الشيخ رشيد رضا (1282هـ /1865م . 1354هـ/1935م) إلى أسرة من الحجاز ثم انتقل أفرادها إلى العراق فنزلوا النجف ثم نزحوا إلى الشام، وسكنوا قرية القلمون، من أعمال طرابلس الشام، ولد الشيخ رشيد في قرية القلمون، وهي قرية في طرابلس الشام تقع على شاطئ البحر المتوسط، وقد نشأ الشيخ رشيد في هذه القرية التي اشتهر أهلها بالشرف وحسن السيرة، وأسرة الشيخ رشيد أسرة ذات شرف ومكانة وكرامة، ودين وتقوى وعزة نفس، بين أهل هذه القرية، وكان لها أثر كبير فيها، فقد كان والد الشيخ رشيد شيخا للقلمون وإماما لمسجدها، وكان قد بدأ في طلب العلم في طرابلس على الشيخ" محمود نشابة "ثم لم يلبث أن انقطع عن ذلك لحاجة والده إليه(1).

وللشيخ رشيد رضا مؤلفات عدة ناهزت أكثر من 25 عملا، يذكر من بينها: تاريخ الأستاذ الإمام (في ثلاثة أجزاء كبيرة)، وترجمة القرآن، وتفسير الفاتحة ومشكلات القرآن، وخلاصة السيرة المحمدية، وشبهات النصارى وحجج المسلمين، وعقيدة الصلب والفداء، والوحدة الإسلامية، وتفسير القرآن الحكيم: الشهير بتفسير المنار وغيرها.

2. التعريف بتفسير المنار للشيخ محمد رشيد رضا:

يعتبر الشيخ رشيد رضا المؤلف الأساسي لمجلة المنار" إذ أنه لم يكتب قبلها إلا كتابا واحدا أثناء طلبه للعلم وهو" الحكمة الشرعية "أما باقي كتبه التي ألفها، فقد كانت أول أمرها جزءا من مجلته أفردها في كتاب مستقل، ولا يخرج عن هذه

(1) منهج الشيخ محمد رشيد رضا في العقيدة، تامر محمد محمود متولي، ط/1، دار ماجد عسيري 1425هـ-2004م ص:61.

القاعدة شيء من مؤلفاته، بما فيها تفسير المنار الذي كان جزءا أساسيا من" مجلة المنار "ثم طبع مفردا فيما بعد(1).

وتفسير المنار في الأصل هو عبارة عن دروس شفهية، كان محمد عبده يلقيها على جمهور من الطلبة والمثقفين المصريين في الجامع الأزهر، وكان رشيد رضا في الوقت نفسه يقوم بتدوين خلاصة أفكار هذه الدروس في مذكرات خاصة به مدةً من الزمن، ثم بدأ يحرّر هذه المذكرات، ويضيف عليها من كتب التفسير الأخرى، ومن أفكاره الخاصة، ويعرض كل ذلك على عبده ليأخذ موافقته عليه، ويقوم بعد ذلك بنشرها في مجلته المنار ابتداءً من الجزء السادس في المجلد الثالث الصادر في محرم سنة (1318هـ)/ أبريل (1900) م. وابتداءً من هذا التاريخ استمر رضا حتى وفاته بنشر تفسيره على صفحات مجلته "المنار"، علماً أنه قد بدأ منذ سنة (1908م) بجمع كل ما كان ينشره من التفسير في مجلته في نهاية كل سنة ويعيد نشره في مجلد مستقل.

يقول الشيخ رضا عن منهجه في التفسير بعد أن انفرد في العمل بعد وفاة محمد عبده: "هذا وإنني لما استقللت بالعمل بعد وفاته خالفت منهجه رحمه الله تعالى بالتوسع فيما يتعلق بالآية من السنة الصحيحة، سواء كان تفسيرا لها أو في حكمها، وفي تحقيق بعض المفردات أو الجمل اللغوية والمسائل الخلافية بين العلماء، وفي الإكثار من شواهد الآيات في السور المختلفة، وفي بعض الاستطرادات لتحقيق مسائل تشتد حاجة المسلمين إلى تحقيقها، بما يثبتهم بهداية دينهم في هذا العصر، أو يقوي حجتهم على خصومه من الكفار والمبتدعة، أو يحل بعض المشكلات التي أعيا حلها بما يطمئن به القلب وتسكن إليه النفس، وأستحسن للقارئ أن يقرأ الفصول الاستطرادية الطويلة وحدها في غير الوقت الذي يقرأ فيه التفسير لتدبر القرآن والاهتداء به في نفسه،

(1) منهج الشيخ محمد رشيد رضا، تامر محمد، مرجع سبق ذكره، ص:93.

وفي النهوض بإصلاح أمته وتجديد شباب ملته الذي هو المقصود بالذات منه"(1).

ثانيا: مفهوم الحوار ومشتقاته في القرآن الكريم

1. مفهوم الحوار في اللغة والاصطلاح

الحوار من الحور: وهو الرجوع عن الشيء إلى الشيء .. والمحاورة: المجاوبة، والتحاور التجاوب، والمحاورة: مراجعة المنطق، والكلام في المخاطبة(2). وورد هذا المعنى أيضا في غير ما حديث نبوي من ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم كان "يستعيذ من الحور بعد الكور"، قال الأزهري في تهذيب اللغة: معنى الحور بعد الكور: من النقصان بعد الزيادة، أو من الفساد بعد الصلاح(3).

وذكر مصطلح الحوار لتبيان وظيفته في القرآن الكريم في ثلاث مواضع، إثنتان في سورة الكهف وفي مشهد حواري واحد والثالث في سورة المجادلة، أما تقريب بيان معناه اللغوي فتكلفت به آيتان من سورتي سبأ والانشقاق. يقول الله تعالى:

(وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهَرًا وكَانَ لَهُ ثمر فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وهوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أكثر مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ودَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا، ومَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إلى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهمَا مُنقَلَبًا قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا(4).

ويقول أيضا في سورة المجادلة:

---

(1) تفسير المنار، رشيد رضا مرجع سبق ذكره، ص:16.
(2) لسان العرب، ابن منظور ج/4، ط1، دار صادر، بيروت، ص:217.
(3) تهذيب اللغة، الأزهري، ج/8، تحقيق أحمد عبد الرحمان مخيمر، دار الكتب العلمية بيروت، ص:61.
(4) سورة الكهف الآيات:32-36

(قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادلك فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إلى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تحاوركما إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ(1). فأصل كلمة حوار من حار يحور حورا، أي رجع يرجع رجوعا وذكر القرآن هذا المعنى في قول الله تعالى:**(إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُور(2)**، أي بمعنى أن لا يرجع**(3)** ؛

وقوله تعالى: **(وَلَوْ تَرَى إِذ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُومِنِين) (4)**؛

ويؤكد موضوع الحوار على أهم المبادئ والأسس في الفكر الإسلامي؛ من حيث اعتبار الإنسان هو المحور؛ والثقة بالعقل البشري واعتبار الاجتهاد من الحقوق الإنسانية التي يملكها من توفرت فيه شروط الكفاءة والعدالة (5).

ومن تم كان من جملة المعاني التي أعطيت للحوار هي مراجعة القول بإعلاء بعضه على بعض على سبيل رد أحدهم قول وحجج الآخر وتثبيت قوله، فالمحاورة إذن هي "مراجعة الكلام بين متكلمين"(6)، وبذلك يكون الحوار في أسمى معانيه هو المفاعلة بين طرفين، وهو حديث يجري بين شخصين أو أكثر.

2. ألفاظ وردت مرادفة لمفهوم الحوار في القران الكريم:

للحوار العديد من المشتقات والدلالات التي تتكامل فيما بينها، أو تتقاطع معها، ومنها:

---

(1) سورة المجادلة الآية الأولى.
(2) سورة الانشقاق الآية
(3) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير 517/4. وتفسير الجلالين، دار المعرفة بيروت، ص:791.
(4) سورة سبأ، الآية:31
(5) مكانة الإنسان المكلف في المناهج الاجتهادية، محمد فاروق النبهان، مجلة دار الحديث الحسنية، العدد 14، سنة 1997/1418، ص:404
(6) التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور، الدار التونسية للنشر - تونس 1984م، 319/15.

. التفكر والتأمل:

يقول الله تعالى: **(قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيد)**(1).

فالله تعالى يريد أن يثير الانتباه إلى أن التفكر والتأمل وتعميق النظر، يمكن أن يكون مثنى وفرادى، ويمكن أن يجتمع الأفراد من أجل صياغة منهج للتفكير والتأمل، وقد يتعرض هذا الاجتماع إلى عواصف من شأنها أن تعصف به وتقضي عليه من قبيل تعصب كل فرد أو طائفة أو جماعة لمنهجها وتصورها إلى درجة إلغاء الآخر ومحوه من خريطة التفكير التي يريد القرآن أن يؤسس لها.

يقول ابن كثير في تفسيره لقول الله تعالى: (أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّة)؛ أي أن تقوموا قياما خالصا لله عز وجل من غير هوى ولا عصبية، فيسأل بعضكم بعضا هل بمحمد من جنون؟ فينصح بعضكم بعضا ثم تتفكروا، أي أن ينظر الرجل لنفسه في أمر محمد صلى الله عليه وسلم ويسأل غيره من الناس عن شأنه إن أشكل عليه، ويتفكر في ذلك(2).

أما سيد قطب، فيرى أن هذه الآية هي دعوة إلى القيام لله، بعيدا عن الهوى، بعيدا عن المصلحة، بعيدا عن ملابسات الأرض... وهي منهج في البحث عن الحقيقة، ومعنى **(أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى)** فمثنى أي أن يراجع أحدهما الآخر، ويأخذ معه ويعطي في غير تأثر بعقلية الجماهير التي تتبع الانفعال والتأثر، ولا تلبث لتتبع الحجة في هدوء... وفرادى مع النفس وجها لوجه في تمحيص هادئ عميق(3).

---

(1) سورة سبأ، الآية:46

(2) تفسير القرآن العظيم، المجلد الثالث، ط1، 566/3.

(3) في ظلال القرآن، سيد قطب، المجلد الخامس، دار الشروق، الطبعة التاسعة 1980، ص:2914.

من تم يمكن الحديث عن مختلف الفضاءات والمجالات التي تعمل بمنهج الحوار، وهي لا تخرج عن ثلاث مستويات:

المستوى الأول: الحوار مع النفس ومحاسبتها وحملها على الجادة وطلب الحق ويكون هذا في شكل حوار داخلي مستمر بين النفس الأمارة بالسوء والنفس اللوامة حتى يصل الإنسان إلى الاطمئنان.

المستوى الثاني: الحوار بين أفراد المجتمع الإسلامي وفق اجتهاداته المختلفة عملا بمبدأ (التعاون في الاتفاق والاعتذار في الاختلاف) حفاظا على وحدة الصف الإسلامي.

المستوى الثالث: الحوار بين المسلمين وغير المسلمين الذين يشتركون معاً في إعمار الكون، وهو حوار يجرى وفق مبدأ المدافعة الذي يمنع الفساد وينمى عوامل الخير.

. الجدال / الجدل:

وردت كلمة جدل ومشتقاتها في أكثر من عشرين موضعا في القرآن الكريم(1)، وتناولت مواضيع متنوعة، ابتداء من موضوع العقيدة ومتعلقاتها إلى مواضيع تهتم بتنظيم الحياة الخاصة والعامة للفرد والمجتمع.

يستعير الشيخ محمد رشيد رضا قول الراغب في تعريفه لكلمة "جدال" فهو المفاوضة على سبيل المنازعة والمغالبة، وأصله من جدلت الحبل إذا أحكمت فتله، ومنه الجديل، أي الحبل المفتول، وجدلت البناء أحكمته. ودرع مجدولة، والأجدل الصقر المحكم البنية، والمجدل كمنبر القصر المحكم البناء(2).

(1) يشير محمد حسين فضل الله في كتابه الحوار في القرآن، إلى أن كلمة الجدال وردت في سبعة وعشرين موضعا. ص:16.
(2) تفسير المنار، 58/12.

وتعني كلمة الجدل في اللغة، وضع الشيء على الشيء إذا كان من جنسه، فتقول جدلت الحبل أي وضعت بعضه على بعض حتى صار مجدولا، ونقول جدلت المرأة شعرها أي وضعت بعضه على بعض فصار ضفيرة، وهذا هو المعنى الإيجابي لكلمة الجدل، لكن حينما يكون معنى الجدل هو شد الحبل وفتله بقوة فهو يأخذ معنى المفاوضة على سبيل المنازعة والمغالبة لإلزام الخصم(1).

نقتصر على بعض الآيات القرآنية لتبيان مختلف السياقات التي وردت فيها كلمة الجدل ومشتقاتها؛

يقول الله تعالى:

- **(الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يا أولي الْأَلْبَاب)**(2).
- **(وَلَا تُجَادِلْ عَنْ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا)**(3).
- **(يَوْمَ تاتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُون)**(4).
- **(ادْعُ إلى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أحسن إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِين)**(5).
- **(وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ)**(6).

---

(1) مباحث في علوم القرآن، مناع القطان، ص:298
(2) سورة البقرة، الآية:196
(3) سورة النساء، الآية:106
(4) سورة النحل، الآية:111
(5) سورة النحل، الآية:125
(6) سورة الرعد، الآية:14

- (الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ، كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا، كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ)(1).
- (إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ)(2).
- (أَلَمْ تَرَى إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنَّى يُصْرَفُونَ)(3).
- (وَيَعْلَمَ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا مَا لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ)(4).
- (وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أحسن إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ)(5).
- (وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا القرآن لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الإنسان أكثر شَيْءٍ جَدَلًا)(6).
- (وَقَالُوا أَآلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ)(7).
- (هَاأَنْتُمْ هَؤُلَاءِ جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا)(8).
- (قَالُوا يَانُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأكثرتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنتَ مِنْ الصَّادِقِينَ)(9).
- (وَإِنْ جَادَلُوكَ فَقُلْ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ)(10).

---

(1)سورة غافر، الآية:35
(2)سورة غافر، الآية:55
(3)سورة غافر، الآية:69
(4)سورة الشورى، الآية:32
(5)سورة العنكبوت، الآية:46
(6)سورة الكهف، الآية:53
(7)سورة الزخرف، الآية:58
(8)سورة النساء، الآية:108
(9)سورة هود، الآية:32
(10)سورة الحج، الآية:66

إن النظر في مواضع كلمة الجدل في الآيات القرآنية السابقة الذكر، يؤكد أن القرآن الكريم يتحدث عن الجدل وليس الحوار، لأن الجدل يكون في الأشياء التافهة والنافعة، الصغيرة والكبيرة، ذات القيمة والفاقدة إياها... وبين التافه والنافع يوجد مقر الحقيقة، ومادامت النفس البشرية جبلت على الإكثار من الجدل، فإن الوصول إلى مقر الحقيقة يصبح محاطا بالمصاعب. بمعنى آخر، أن نضيف شرط الحسنى إلى الجدل لكي يصبح جدالا بالتي هي أحسن.

وهذا هو الفرق بين الذي تغلب على نفسه، فتحول جداله الكثير إلى جدال بالتي هي أحسن، وبين الذي لا زال ينظر إلى أن اللسان لم يخلق إلا للإكثار من الجدل قبيحه وحسنه.

ومن الجدل هناك الجدل المحمود، وهو الذي يقصد به تأييد الحق أو إبطال الباطل أو أفضى إلى ذلك بطريق صحيح. إن المجادلة بالتي هي أحسن مما أوجبه الله على المؤمنين فهذا واجب على الكفاية منهم. وأما ما وجب على أعيانهم فهذا يتنوع بتنوع قدرهم وحاجتهم.

وانطلاقا مما سبق، يمكن أن نستنتج أن القرآن الكريم يقيد بأن يكون الجدال بالتي هي أحسن، أي بأحسن الأساليب وأفضلها وصولا إلى اقتناع العقل وإيقاظ القلب، ومن روائع التعبير القرآني أنه اكتفى بالموعظة بأن تكون حسنة ولم يرض في الجدال إلا أن يكون بالتي هي أحسن، لأن الموعظة تكون مع الموافق، والجدال مع المخالف، فلا بد أن يستخدم معه أفضل الوسائل.

وإذا كان هدف الجدال هو التماس الحق وتقريره، كان محموداً، وإن كان الباطل مقصده كان مذموماً. وقد يكون الهدف محمودا لكن الوصول إليه يتطلب ركوب وسائل معينة يصبح معها المقصد مذموما، ومنها المناظرة والتي تكون على سبيل الغلبة والانتصار للذات، بدل طلب الحق ابتداء وانتهاء.

. المناظرة:

تتفق المناظرة مع الجدال بالتي هي أحسن في كونهما يبحثان في سؤال الحقيقة ويتخذان الوسائل الكفيلة بتحقيق ذلك، وهو علم قديم يقم على إرخاء العنان للمناظر، أي أن تتركه على طبيعته. لكنهما يختلفان – أي المناظرة والجدال بالتي هي أحسن– في المحرك والباعث في إدارة الحوار، ففي المناظرة يطلب سحر الكلمة وإتقان اللسان حتى ولو كان على حساب الحق في بعض الأحيان، وغالبا ما تمارس في جو مكشوف وعلني من مثل الأماكن العمومية في حلقات عامرة، في المساجد وفي مجالس الخلفاء الحافلة بالعلماء والعظماء ويتزاحم الناس على مشاهدتها ويحرصون على تتبع ما يجري بين المتناظرين من المساجلات(1)، وهو ما يحرك دواعي الرياء والحرص على إظهار التفوق سواء بالحق أو بالباطل، وهي توحي بالتحدي وإرادة الغلبة ومحاولة كل طرف أن يصيب الآخر في مقتل، بخلاف الجدال بالتي هي أحسن الذي يرمي إلى تعاون الطرفين معا في أداء وظيفة البحث عن الحقيقة والأخذ بها دون الرغبة في الإيقاع أو التشهير أو العلو على الخصم والظفر به.

وحينما تصبح المناظرة مطلوبة لذاتها، تفقد بعضا من جانب الإحسان الذي ينبغي أن يتحلى به كل طرف في مقابل الطرف الثاني.

وبرجوعنا إلى الوراء، نجد أن أسلوب المناظرة شكل فنا لبعض المذاهب والاتجاهات، يذكر صاحب كتاب "المنحى الاعتزالي في البيان وإعجاز القرآن": أنه لم يكن مع واصل بن عطاء وأصحابه في بداية حركتهم من قوة تعينهم على نشر دعوتهم إلا قوة الحجة وسلطان الدليل وسلاح المناظرة والجدال، فأخذوا أنفسهم بالجد في التزود من هذه الأسلحة وعكفوا على ترويض أنفسهم أتباعهم

(1)المنحى الاعتزالي في البيان وإعجاز القرآن، أحمد أبو زيد، ط/1، مطبعة المعارف للنشر والتوزيع،1986 ص:104.

عليها، فحرصوا على طلب التقدم في الخطابة واللسن، والسبق في المناظرات والجدل(1).

وطلب الحجة والدليل والإتقان في فن الجدل والمناظرة كان وليد الدربة الشاقة والممارسة الطويلة، والتفكير العقلي، فهم من جهة كانوا دعاة ومناظرين، يطلبون دوما وسائل التأثير والإقناع، ولم يكن بأيديهم من وسيلة إلا الكلام البليغ والحجة القوية(2).

ومناظرة هؤلاء تختلف في بعض الجوانب عن طريقة القرآن في المناظرة حيث إن القرآن لم يسلك في الجدل طريقة المتكلمين الاصطلاحية في المقدمات والنتائج التي يعتمدون عليها من الاستدلال الكلي على الجزئي في قياس الشمول أو الاستدلال بأحد الجزئيين على الآخر في قياس التمثيل، أو الاستدلال بالجزئي على الكلي في قياس الاستقراء(3).

وبعيدا عن الإشكالات التي تطرح في أسلوب المناظرات، يبقى القرآن الكريم ثابتا في موقفه الداعي إلى إلباسه لبوس طلب الحقيقة منطلقا وغاية، دون تسفيه ولا تشهير، وإلا تحول إلى المراء.

ثالثا: حكم الحوار ومواصفاته

1. حكم الحوار:

هناك آيات أقرت المجادلة والحوار والمناظرة مما يدل على جوازها وإباحتها(4)، وهذه هي المجادلة الشرعية التي ذكرها الله تعالى عن الأنبياء عليهم السلام وأمر بها في مثل قوله تعالى :**(قالوا يا نوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا)** وقوله :"**وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه**" وقوله :"**ألم تر إلى**

(1) المنحى الاعتزالي في البيان وإعجاز القرآن، ص:96
(2) المنحى الاعتزالي في البيان وإعجاز القرآن، ص:102
(3) مباحث في علوم القرآن، مناع القطان، الطبعة الثامنة، مكتبة المعارف الرياض، ص:299.
(4) الحوار في الإسلام والتفاعل الحضاري مع الآخر، عوض أحمد عبده، الطبعة الأولى مركز الكتاب للنشر، القاهرة، 2014، ص:77

الذي حاج إبراهيم في ربه" وقوله :"**وجادلهم بالتي هي أحسن**" ... وأمثال ذلك فقد يكون واجبا أو مستحبا وما كان كذلك لم يكن مذموما في الشرع.

فقوله تعالى: "**قَالُوا يَانُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكثرتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنتَ مِنْ الصَّادِقِينَ**"(1). فنسب الجدال إلى نوح عليه السلام ولم ينكره القرآن الكريم.

وقوله أيضا: **(قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا**(2). فالتعبير بلفظ المحاورة يدل على إقرارها وإثباتها.

وقوله تعالى: **(قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادلك فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إلى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تحاوركما إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ**(3). فهذه الآية تقر المجادلة والحوار كما هو ظاهر منها.

ويتجلى حكم الحوار في أنه صارا أمرا مطلوبا ليس للمجابهة والإفحام، ومحاولة الظهور على الخصم، وتعجيزه عن الرد. وإنما المقصود أن يحصل كل ما يأتي أو بعضه من معرفة أطروحات الطرف الآخر، ووجهات نظره وحججه في القضايا التي هي موضوع الحوار، إضافة إلى العمل على إقناع الطرف الآخر ليتخلص من وجهات نظره ومواقفه كليا أو جزئيا في القضايا التي هي موضوع الحوار ليتقبلها ويعمل على تبنيها بعد اقتناعه بها سواء بعد الحوار مباشرة أو تدريجيا على المدى الطويل؛ فضلا عن العمل على استكشاف ما لدى الطرف الآخر من حقائق وإيجابيات، والاعتراف بها وقبولها والاستفادة منها طالما أن الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أولى بها.

2. مواصفات الحوار:

الحوار هو كلام متبادل بين طرفين وأكثر، فهو يأخذ معنى الكلام في حكمه ومواصفاته الواردة في القرآن الكريم.

---

(1)سورة هود، الآية:32

(2)سورة الكهف، الآيات:32-36

(3)سورة المجادلة، الآية الأولى

فالقرآن بيان وتبيين، فإذا كان القرآن من عند الله فالبيان هو الآخر من عنده سبحانه وتعالى مشتملا على أوامر ونواهي في غاية الوضوح، في حين أن البيان المجرد والأمر أو النهي الأعزل، لا يكفي لحمل أي إنسان على ترك ما رسخ في ذهنه وثبت في قلبه من قديم(1)، فالله هو الذي علم القرآن وعلم البيان لهذا الإنسان، لكن بأي طريقة؟ إنها طريق الرحمة التي مبعثها الرحمان سبحانه وتعالى، وقد سميت السورة بأكملها باسم الرحمان، تأكيدا من القرآن على أنه إذا تكلم هذا الإنسان ونطق فليكن كلامه ونطقه مشفوعا بالرحمة واللين، وأن يحرص أن يبقى في دائرة الكلمة دون خروجه منها إلى دائرة الغلو والتطرف، وليكن رحيما في بيانه كما كان الله رحيما به ساعة تعليمه إياه القرآن والبيان.

وقد وردت للكلمة مجموعة من المواصفات في القرآن الكريم، نعرض بعضها على الشكل الآتي:

القول المعروف:

- يقول الله تعالى: **(إلا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا)**(2)
- يقول الله تعالى: **(وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا)**(3).
- يقول الله تعالى: **(وقلن قولا معروفا(4)**، مخاطبا نساء النبي صلى الله عليه وسلم.

القول السديد

- يقول الله تعالى: **(فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا)**(5).
- يقول الله تعالى: **(يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا)**(6).

---

(1) الأنبياء في القرآن، سعد صادق محمد، ط/1، 1982 دار اللواء للنشر والتوزيع ص:131
(2) سورة البقرة، الآية:
(3) سورة النساء، الآية:5
(4) الأحزاب، الآية:
(5) سورة النساء، الآية:9

القول الميسور

- يقول الله تعالى: **(فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَيْسُورًا)**(1).

القول الحسن

- يقول الله تعالى: **(وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا)**(2).

القول العظيم

- يقول الله تعالى: **(إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا)**(3).

القول الكريم

- يقول الله تعالى: **(فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا)**(4).

القول البليغ

- يقول الله تعالى: **(وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا)**(5).

القول اللين

- يقول الله تعالى: **(فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أو يَخْشَى)**(6).

وتتداخل هذه المواصفات فيما بينها لتصل بنا إلى النتيجة القرآنية التي رسمها كلام الله عز وجل للكلمة حينما يقول سبحانه وتعالى: **(أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللهُ**

---

(6) سورة الأحزاب، الآية:70
(1) سورة الإسراء، الآية: 28
(2) سورة البقرة، الآية:83
(3)سورة الإسراء، الآية:40
(4)سورة الإسراء، الآية:23
(5)سورة النساء/ الآية:63
(6) سورة طه، الآية:44

مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاء، تُوتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللهُ الامْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ(1).

فالكلمة الطيبة هي تلك الشجرة الطيبة التي لها جذور قوية متجذرة في عمق الأرض بينما ترتفع فروعها وأوراقها في السّماء، فهي توتي ثمارها كل حين بإذن ربها، وتنتج آثرها الطيب في النفوس، وتحرك مشاعر الناس، وتثير اهتمامهم، وتزرع بذور الأمل فيهم. فهي ثابتة سامقة مثمرة، لا تزعزعها الأعاصير، ولا تعصف بها رياح الباطل؛ ولا تقوى عليها معاول الطغيان.

وهذه الكلمة الطيبة تثمر كلاما كثيرا طيبا، يقارنه عمل صالح، فيرفع العمل الصالح الكلم الطيب، قال الله تعالى: **(إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ)**(2)، فأخبر سبحانه وتعالى أن العمل الصالح يرفع الكلم الطيب، وأخبر أن الكلمة الطيبة تثمر لقائلها عملا صالحا كل وقت(3).

إن قول الله تعالى: **(أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ..)** كان للمقارنة بين الكلمة الطيبة والشجرة الطيبة، وبين الكلمة الخبيثة والشجرة الخبيثة، بمعنى أن الكلمة الطيبة تنمو، كما أن الكلمة الخبيثة تنمو. وكما أن الكلمة الطيبة تصل إلى أن تصبح شجرة زاهية باسقة، فإن الكلمة الخبيثة تنمو إلى حد أن تصبح شجرة، إذن فمن طبيعة الكون على ما يبدو أن الفساد ينمو أيضاً ويكبر ويضخم ويقوى، وهو في ذلك يقدم إيحاءا مفاده أن الكلمة الطيبة توجد بحكم موقعها في تدافع مع الكلمة الخبيثة/الإصلاح مع الفساد/الحق مع الباطل.. وهذا التدافع ضروري لكي تعطي الكلمة الطيبة/الشجرة الطيبة أكلها وثمرها.

3. الكلمة ودورها في الحوار

(1) سورة إبراهيم، الآية:24

(2)سورة فاطر، الآية:10

(3)التفسير القيم للإمام ابن القيم، جمعه أوس الندوي، دار الكتب العلمية بيروت، ص:328

يبقى الحوار هو كلام وقول تتجاذبه أطراف مختلفة للوصول إلى هدف معين، فهذا يرسل حججه وأدلته والآخر يستقبلها في إطار عملية حوارية تبادلية.

وتأكيدا من القرآن الكريم على أهمية الكلمة ومحوريتها في العملية الحوارية الجدالية، نجده يذكر المقاطع التالية:

- **(الرَّحْمَانُ عَلَّمَ القرآن خَلَقَ الانسان عَلَّمَهُ الْبَيَانَ (1)**
- **(وَعَلَّمَ آدم الاسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاء إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ (2).**
- **(اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الانسان مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الاكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الانسان مَا لَمْ يَعْلَمْ(3).**

الاستنتاج الذي نصل إليه من خلال هذه الآيات هو أن الكلمة لها نسب من الله تعالى، وأن القرآن الكريم جاء بمواصفات للكلمة.

إن الكلمة في أصلها تحمل نسبها من الله عز وجل، ويبين القرآن نفسه هذا الأمر بما يلي :

- **(فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنْ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنْ الصَّالِحِينَ(4).**
- **(إِذْ قَالَتْ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالاخرةِ وَمِنْ الْمُقَرَّبِينَ(5).**
- **(فَتَلَقَّى آدم مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ(6).**

---

(1)سورة الرحمن، الآيات1-4
(2) سورة البقرة، الآية:31
(3) سورة العلق الآيات 1-5
(4)سورة آل عمران، الآية:39
(5)سورة آل عمران، الآية:45
(6)سورة البقرة، الآية:37

- **(قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدادا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا(1).**

- **(وَلَوْ أَنَّمَا فِي الارْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ(2).**

- **(وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنْ الْقَانِتِينَ(3).**

من هذه الآيات السابقة التي أوردناها في بيان نسب الكلمة، نقف وقفتين لذكر ما يلي:

<u>الوقفة الأولى:</u>

مادامت الكلمة من الله، وأن القرآن هو كلام الله تعالى، فإن وظيفة الأنبياء والرسل هو إيصال كلام الله تعالى إلى الناس، وهذا ما يوضحه صاحب كتاب التفسير القيم للإمام ابن القيم بالقول: إن حقيقة الرسالة تبليغ كلام المرسل، فإذا لم يكن ثم كلام فماذا يبلغ الرسل؟ بل كيف يعقل كونه رسولا؟ ولهذا قال غير واحد من السلف: من أنكر أن يكون الله متكلما، أو أن يكون القرآن كلامه، فقد أنكر رسالة محمد صلى الله عليه وسلم، بل ورسالة جميع الرسل التي حقيقتها تبليغ كلام الله تبارك وتعالى، ولهذا قال منكرو رسالته صلى الله عليه وسلم عن القرآن: إن هذا إلا سحر يؤثر، إن هذا إلا قول البشر، وإنما عنوا القرآن المسموع الذي بلغوه وانذروا به. فمن قال إن الله لم يتكلم به فقد ضاها قوله قولهم(4).

الوقفة الثانية:

---

(1)سورة الكهف، الآية:109

(2)سورة لقمان، الآية:27

(3)سورة التحريم، الآية:12

(4)التفسير القيم لابن القيم، جمعه أوس الندوي، تحقيق محمد حامد الفقي، دار الكتب العلمية، بيروت، ص:61

ومادام مصدر الكلمة من الله تعالى، فهي تحمل معاني التوبة والرحمة كما تلقاها آدم عليه السلام، وتحمل البشرى كما وقع لنبي الله زكرياء ومريم عليهما السلام، وتبقى لانهائية المعنى، في مقابل محدودية الكون، ومن تم فهي وردت بعدة مواصفات تؤكد أهميتها في كتاب الله تعالى، وانخراطها في الإطار الوحيد المشفوع بالحسنى.

يقول الله تعالى: **(وَمَنْ أحسن قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إلى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنْ الْمُسْلِمِينَ(1). وقوله أيضا: (وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أحسن إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا(2).**

ولكي لا تبقى كلمة "التي هي أحسن" خاضعة لتفسير وتأويل يفتقد إلى الموضوعية، نجد القرآن الكريم يبادر إلى تفسيرها بواسطة بطرق أخرى من القرآن نفسه، وكلها تصب في قناة ترشيدها وتصويبها، حتى تؤدي وظيفتها التواصلية التعبيرية الحقة.

رابعا: وظائف الحوار

من أهم وظائف الحوار هو "إقامةُ الحجة، ودفعُ الشبهة والفاسد من القول والرأي. فهو تعاون من المُتناظرين على معرفة الحقيقة والتَّوصُّل إليها، ليكشف كل طرف ما خفي على صاحبه منها، والسير بطرق الاستدلال الصحيح للوصول إلى الحق"(3)، بحيث يتعرف كل فريق على الفريق الآخر، ويفترض فيه قبول كل طرف لوجود الآخر، ويعترف له بخصوصيته وهويته ويتبادل معه الكلام والرأي للانتهاء بالحوار إلى التعاون والمساندة(4)، لأن "الحوار لا يوجد

---

(1)سورة فصلت، الآية:33

(2)سورة الإسراء، الآية:53

(3) أصول الحوار وآدابه في الإسلام، صالح بن عبد الله بن حميد، دار المنارة للنشر والتوزيع، جدة ـ مكة، 1415هـ /1994م، ص:7.

(4)مختارات من خطبه وكلماته، عبد الهادي بوطالب، منشورات ايسيسكو1992 ص:48

إلا حيث يوجد الاختلاف في طرق البحث؛ فالراجح أن طريق الوصول إلى الحق ليس واحدا لا ثاني له، وإنما طرقا شتى لا حد لها"(1).

كما أن للحوار غايات أخرى فرعية من أهمها: إيجاد حلٍّ وسط يُرضي الأطراف؛ و التعرُّف على وجهات نظر الطرف أو الأطراف الأخرى، والبحث والتنقيب، من أجل الاستقصاء والاستقراء في تنويع الرُّؤى والتصورات المتاحة، من أجل الوصول إلى نتائج أفضل وأمْكَنَ(2).

والحوار لا يمنع من التعاون والتلاقي بين أفكار ورؤى الشعوب والقبائل، وإن بقيت الاختلافات. وفي سبيل تحقيق هذا التزاوج والتعاون والالتقاء على كلمة سواء، يؤكد القرآن الكريم على أن دعوات الأنبياء والمرسلين- بصفتهم مبشرين بالإصلاح والهداية بين الناس-كانت كلها تنطلق من الحوار، وتتخذ سبيل الجدال في كل أطوارها ومراحلها، ولا تتوقف المجادلة إلا باعتراض عنيد يستوجب إزالته باليد أو السيف، ثم تواصل المجادلة سيرها تلزم الحجة، وتقنع المرتاب، وتهدي المتردد، وتصارع الأفكار، وتخاطب العقول، يبلج الحق فيها ويزهق الباطل، إذ تقذف بالحق عليه فيدمغ ويزهق(3).

فعبر الحوار يستطيع البشر أن يوصلوا للآخرين أفكارهم ومعتقداتهم، بالإقناع والتفهم والاحترام، وهذه هي القاعدة الأساسية التي يتفق عليها العقل البشري، ومع انقطاع الحوار تبرز التقاطعات البشرية لإيجاد حالة الصدام والصراع؛ فالملاحظ أن معظم الصراعات البشرية والحروب الدامية ما هي إلا نتيجة لانقطاع قنوات الحوار والتواصل. كما أن القرآن الكريم قدم رسالة واضحة على أن الإسلام هو دعوة للحوار والتعاون والسلام، وليس دعوة للحروب والتقاطع؛

---

(1) في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، طه عبد الرحمان، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء 2000، ص:20.

(2) أصول الحوار وآدابه في الإسلام، مرجع سابق، ص:7.

(3) من مرتكزات الخطاب الدعوي في التبليغ والتطبيق،عبد الله الزبير عبد الرحمن، كتاب الأمة عدد56 ، ط1 ص:76

فالله تعالى يقول (عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوَدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ)(1).

. الوظيفة المرجعية للحوار

من الغايات الأولية للحوار هو بيان مرجعية الأطراف المتحاورة، وذلك لاختيار السبيل الأمثل للوصول إلى الحقيقة، ومن تم تبقى عملية تحديد نقطة الانطلاق في أي حوار لها أهميتها الخاصة.

وما دام المتحاور يعتبر نفسه متسلقا لسلم الحقيقة، فإن أول درج يضع قدميه عليه هو تقديمه لبطاقة تعريف تكشف هويته، وطريقته في التماس الحقيقة. وهذه البطاقة التعريفية تحرر مناط الاختلاف، وتسعى إلى إبراز المتفق عليه لتنطلق منه إلى المختلف فيه، لكن بنفسية كلها أمل وتفاؤل في جعلها مثل الأولى.

وبذلك يكون الحوار من أهم غاياته، هو إعادة الاعتبار للمرجعية المنطلق منها، على أساس أن هذه المرجعية تشكل في أبعد معنى لها حدا أدنى من التوافق والتسليم العقلي والعاطفي معها، فإذا ظهرت الحقيقة موافقة لهاته المرجعية، يكون الحوار قد ضمن الاستجابة والقبول لها.

والقرآن الكريم يعرض طريقة النبي صلى الله عليه وسلم في حواره مع الآخرين، مبرزا أن البحث في تحديد الملامح العريضة للمرجعية المشتركة يبقى من أوكد الغايات التي ينبغي أن يحرص عليها المتحاوران، من مثل قول الله تعالى: **(وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ)(2)، وقوله أيضا: (وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُوفَكُونَ)**(3).

---

(1)سورة الممتحنة، الآية:7

(2)سورة الزخرف، الآية:8

(3)سورة الزخرف، الآية:87

وكثير ما يختلف الناس في أمور هم لها مسلمون، ومعتقدون، لا لشيء إلا لأنهم لم يسعوا إلى البحث في الغاية الأولى للحوار من تحرير مناط الاختلاف. وبذلك يكون أحدهم قد تأثر سلبا من حواره مع الآخر.

. الوظيفة التأثيرية للحوار

مما لا شك فيه أن عملية البحث عن الحقيقة ينخرط فيها الذاتي والموضوعي، فمن الإعجاب بشخصية المتحاور وتقديره لخصال فيه قد برهن عليها، إلى التسليم والانقياد لما ظهر على لسانه من الحق والصواب، ومن تم لا نستطيع أن نفصل بينهما، وهذا هو ما يبرر التأثير المتبادل الذي ينتجه الحوار، ففي حوار المسلم مع غيره، يتأثر هذا الأخير، على سبيل المثال، بخلق العدل الذي هو قوام الشخصية المسلمة، فالمسلم عادل في كلامه وأقواله وحججه وأدلته، وعادل في بحثه عن الحق والحقيقة، ولا يبالى من أي وعاء خرجت، وعادل مع الآخر بإنزاله المنزلة المستحقة، وإنصافه إن ظهر الصواب في جانبه، وهذا الخلق كفيل لوحده أن يخلق لدى الآخر حالة من التأثر الإيجابية في ذات المسلم ومنهجه وتفكيره.

فتمتع المسلم بأخلاق الإسلام يدفع بقوة في اتجاه تأكيد محورية الشهادة على الناس قصد خلق تجاوب وتأثير حسن، تنقاد له النفوس وترتاح له القلوب، يقول الله تعالى:

(وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهداءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا)(1). فأنبأنا ربنا تعالى بما أنعم به علينا من تفضيله لنا باسم العدالة، وتوليته خطة الشهادة على جميع الخليقة، فجعلنا أولا مكانا وإن كنا آخرا زمانا،

(1)سورة البقرة، الآية:142

كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: نحن الآخرون السابقون، وهذا دليل على أنه لا يشهد إلا العدول، ولا ينفذ على الغير قول الغير إلا أن يكون عدلا(1).

وأثناء عملية النفاذ والتأثير العدل في نفسية الآخر، نكون قد حققنا التواصل والتكامل وإن لم يحصل اتفاق كلي في المواقف، فكسب القلوب مقدم على كسب المواقف.

إن الوظيفة التأثيرية للحوار بطبيعتها تخدم قضية التكريم الإنساني، ذلك أن الإنسان، المعني أولا وأخيرا بالحوار، استحق التكريم والتفضيل على غرار ما خلق الله وهذا ما يقرره القرآن بحق الإنسان **(وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنْ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا**(2)؛

حيث يتضح أن الله تعالى فضل البشر على غيرهم من المخلوقات الأخرى بسبب العقل وبه استطاع الإنسان أن يحقق نموه وتقدمه على كافة الأصعدة، في إطار تكوين إثراء كبير من الأفكار والتصورات المختلفة أحيانا، والمتوافقة أحيانا أخرى، المتولدة عن عملية توظيف العقل واستخدامه في مساراته الطبيعية، ليترك المجال لتتدافع فيما بينها بالتي هي أحسن، وهذا لن يتأتى إلا إذا جلست كل فكرة /لبنة إلى أختها من الرضاعة، من أجل الأخذ والعطاء، ومن أجل الإلقاء والاستماع، ذلكم هو الحوار والجدال بالتي هي أحسن.

وهذا ما نستشفه من قول الله تعالى:

(لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ(3).

---

(1)أحكام القرآن، ابن العربي، المجلد الأول، ص40و41

(2)سورة الإسراء، الآية:70

(3)سورة المائدة، الآية:50

واختلاف المصالح وتدافعها إنما يكون تبعا لاختلاف شرائع الناس ومناهجهم، فلذلك طلب من هؤلاء المختلفين، مشيئة من الله وابتلاء منه إليهم، أن يجتمعوا على توحيد الهدف المنشود الذي هو التماس الخيرات، فالاستباق إليها والتنافس حولها (وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافس الْمُتَنَافِسُون(1) هو الذي يشفع الشفاعة الحسنة للاختلاف، وإلا كان اختلاف هدم لا اختلاف بناء، اختلاف فساد وإفساد، لا اختلاف صلاح وإصلاح.

إن اختلاف الهدم والإفساد يتجلى في إلحاق الظلم بشتى أنواعه من الإنسان إلى أخيه الإنسان، وبذلك تكون مبادئ الخير والعدل والتسامح والمساواة التي جاءت من أجل إرسائها الشرائع السماوية، ومكنّ لأسسها الأنبياء والرسل والمصلحون معرضة للتقويض والفسخ؛ إن لم يكن هناك حوار وجدال بالتي هي أحسن.

(1)سورة المطففين، الآية:26

الفصل الأول:

أصول الحوار في القرآن الكريم

من خلال تفسير المنار

الفصل الأول: أصول الحوار في القرآن الكريم من خلال تفسير المنار

المبحث الأول: التزام الحجج والأدلة العقلية

يستند هذا الأصل على قول الله تعالى: **(قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ)**، وقوله تعالى: **(قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرُ مَنْ مَعِيَ وَذِكْرُ مَنْ قَبْلِي)**، وقوله تعالى: **(قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ)**، وهذه الآيات تجمع على ضرورة تعظيم شأن الدليل والبرهان، كما قال الشيخ محمد رشيد رضا، إن الله تعالى عظم شأن الدليل والبرهان في دينه وناط به تصديق دعوى المدعي وردها، بصرف النظر عن موضوعها، حتى كأن من جاء بالبرهان على الشرك يصدق به، وهو من فرض المحال، للمبالغة في فضل الاستدلال، وقد قال في سياق إقامة البراهين على توحيده **(أإله مع الله قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين)**، على أنه صرح بأنه ليس لديهم برهان فيما أقام على كذبهم فيه البرهان، وكيف يكون لديهم ما هو في نفسه محال(1).

ونظرا لأهمية هذا الأصل في الحوار، سيتم تناوله من خلال أربعة أصول فرعية، وهي:

أولا: تقديم الأدلة المُثبِتة أو المرجِّحة للدعوى

إذا كان من أهم أهداف الحوار ومقاصده هو إقامة الحجة، والبيان والدليل أمام المخالف حتى يقتنع ويسلم للحقيقة المبحوث عليها، فإن الوصول إلى هذا الهدف يقتضي التزام أطراف الحوار بمبدأ تقديم الحجة والدليل المقبول لدى أطراف الحوار، قصد دفع الشبهة والفاسد من القول والرأي. والسير بطرق الاستدلال الصحيح للوصول إلى الحق.

وقد حكم هذا الأصل مجموعة من المؤلفات والكتب التي أصدرها أصحابها للرد على كثير من المخالفين، ومن جملتها كتاب "القرآن ونقض مطاعن الرهبان"،

(1) تفسير القرآن الحكيم/المنار، 353/8.

وفيه تفنيد اتهامات وجهها للقرآن الكريم "أحد رجال الدين النصارى . أو مجموعة من رجال الدين النصارى . وزعم أن القرآن ليس معصوما من الأخطاء، ففيه مجموعة من الأخطاء، تعد بالعشرات، في مختلف المجالات وشتى الموضوعات"(1).

ويستند الشيخ رشيد رضا على التزام الحجج والأدلة العقلية من خلال قول الله تعالى: **(قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلاَ تَتَّقُونَ فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلاَّ الضَّلالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ)(2)**.

حيث يذهب إلى أن هذا النوع هو أحد أساليب إقامة الحجج على المشركين في إثبات التوحيد والبعث، وهو أسلوب السؤال والجواب، ويليه إثبات النبوة والرسالة والقرآن. "**قل من يرزقكم من السماء والأرض**" أي قل أيها الرسول لهؤلاء المشركين المعاندين من أهل مكة: من يرزقكم من السماء بما ينزله من المطر، ومن الأرض بما ينبته فيها من أنواع النبات نجمه وشجره مما تأكلون وتأكل أنعامكم؟) والأرض أمن يملك السمع والأبصار (بل قل لهم أيضا: من يملك ما تتمتعون به أنتم وغيركم من حواس السمع والأبصار، التي لولاها لم تكونوا تعلمون من أمر العالم شيئا، بل تكون الأنعام والحشرات وكذا الشجر خيرا منكم باستغنائها عمن يقوم بضرورات معاشها، من يملك خلق هذه الحواس وهبتها للناس، وحفظها من الآفات وخص هاتين الحاستين بالذكر لأن عليهما مدار الحياة الحيوانية وكمال البشرية، وتحصيل العلوم الأولية، يشعر بذلك المسئولون بمجرد إلقاء السؤال.

---

(1) القرآن ونقض مطاعن الرهبان، صلاح عبد الفتاح الخالدي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، هـ 1437هـ /2016م، ص:5.

(2) سورة يونس، الآيتان:31-32.

وكلما ازدادوا فيه تفكرا ازدادوا علما وإعجابا وإكبارا لإنعام الله تعالى بهما وإيمانا بأنه لا يقدر غيره عليهما، ولا سيما إدراك الكلام بحاسة السمع، وما يرسمه صوت المتكلم في الهواء من معلوماته التي يدلي بها إلى غيره فتتكيف بها كل ذرة من ذراته) أي الهواء (فتقرع به طبلة كل أذن من آذان السامعين وإن كثروا، فينقلها العصب المتصل بها إلى مركز إدراك الكلام من دماغه، فيدرك معناها المدلول عليه بها بأقوى مما يدركه من قرأها مخطوطة في كتاب، لما لجرس الصوت من التأثير الخاص، فمن ذا الذي خلق هذه الآيات؟ ومن ذا الذي ألهمها إيداع هذه المعاني في الأصوات ومن ذا الذي وضع هذا النظام في الهواء؟

ثم إذا ازداد علما بإدراك البصر للمبصرات، وما لها من المقادير والألوان والصفات، وما للعين الباصرة من الشكل المحدب، وما لها من الطبقات والرطوبات، الموافقة لسنن الله في النور الذي تدرك به المرئيات، مما هو مبسوط في الأسفار وموجز في المختصرات، ازداد يقينا بأن ذلك من آيات الله الدالة على علمه وحكمته في الكائنات، وإن غفل عنها المشغولون عن عظمة الصانع بعظمة المصنوعات، وقد وحد السمع لأن إدراكه لجنس واحد هو الأصوات وجمع البصر لتعدد أجناس المبصرات(1).

ونستخلص مما سبق، أن أهم ما ينجح الحوار الدليل، ولا بد من إثبات صحة الدليل، كما قيل:" إن كنت ناقلا فالصحة، أو كنت مدعيا فالدليل"، ولا يحسن بالمحاور أن يستدل بأدلة ضعيفة أو حجج واهية.

ويدخل في طلب الحجج والأدلة، الاستعانة بضرب الأمثلة، إذ إن الأمثلة الجيدة تزيد المعنى وضوحا وبيانا. ولما للأمثلة من دور كبير في تقريب المعاني والإقناع بها، فقد اعتنى القرآن بها كثيرا، وأشار إلى أهميتها وبيان هدفها: "وتلك

(1) تفسير القرآن الحكيم/المنار، 291/11.

الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون"، وقوله أيضا: "ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون".

ومن الأدلة المُثبِتة أو المرجِّحة للدعوى، ما ذهب إليه الشيخ محمد رشيد رضا حينما اعتبر أن **إحالة المخاطبين إلى غرائزهم وفطرهم** هو من الأساليب القوية في بيان الحق في النفوس، فهي من أرق أساليب الإقناع، وأبلغ وسائل الإذعان بأصول الإيمان"، وتذكيرهم بتأثير التربية التقليدية في أنفسهم، ومناشئ عروض الشبهات لأذهانهم، وإلزامهم الحجة بمحاسبة عقولهم لأنفسهم على تعارض الأفكار وتناقض الأقوال، بسبب اختلاف الأوقات والأحوال، ومخالفة التقاليد والمسلمات، للغرائز والملكات(1).

ولنا في حوار لوط عليه السلام مع قومه خير مثال على توظيف أسلوب إحالة المخاطبين إلى غرائزهم وفطرهم

يقول الله تعالى: **(وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَاتونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ، أَئِنَّكُمْ لَتَاتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ، فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ، فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَاهَا مِنْ الْغَابِرِينَ، وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنذَرِينَ)**(2).

تتلخص القضية في أن قوم لوط كانوا يأتون الرجال شهوة من دون النساء، وهم أهل شذوذ جنسي، مع المجاهرة والافتخار بذلك، ويأتون المنكر في نواديهم وهذا من شأنه أنه يحث على الفساد في الأرض، من حيث العمل على تغيير سنن الخلق في الكون انطلاقا من ثقافة أنتجها القوم، فأصبح الخارج منها كمن يريد أن يتطهر.

(1) تفسير القرآن الحكيم/المنار، 241/8.
(2)سورة النمل، الآيات:56-60

وهذا فساد ينبغي إصلاحه وتقويمه، لكن بأي طريقة وبأي أسلوب؟ هذا ما تكلف به نبي الله لوط عليه السلام حينما راح إلى قومه يدعوهم ويجادلهم بالتي هي أحسن إلى ترك هذا العمل والعودة إلى جادة الصواب، فالمهمة تبدو شاقة في جزئياتها وكلياتها، وفي مدى القدرة على الإقناع بأن الفاحشة تبقى فاحشة؛ وإن تغيرت الأسماء والمبررات، وأن الفضيلة تبقى فضيلة وإن تغيرت الأوعية التي تحملها.

ومن جملة ما كان يقول لهم محاولا فتح أقفال العقول: **(أَتَاتُونَ الذُّكْرَانَ مِنْ الْعَالَمِينَ، وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ، قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا لُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنْ الْمُخْرَجِينَ، قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنْ الْقَالِينَ)**(1).

واستمر لوط عليه السلام في حوارهم ومجادلتهم بالمنطق والحجة، حيث كان يلفت انتباهم إلى أن الله قد أحل لهم النساء وفيهن غنى عن إتيان الرجل وارتكاب تلك الفاحشة المخزية المردية. قائلاً لهم: **(قَالَ يَاقَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِي فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ)**(2).

كان الجواب منهم: **(قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيد)**(3)، ولما لم ينفع معهم أسلوب الحوار بالتي هي أحسن والإقناع مع الإغراء وتحقيق مطلبهم دون ارتكاب المحرم، ومع التأكد التام أن قوم لوط بفعلهم هذا سيغيرون التاريخ ويقضون على سننه التي لا تحابي أحدا، جاء أمر الله لإعادة الأشياء إلى سنتها وطبيعتها؛ مصداقا لقول الله تعالى: **(فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ)**(4).

---

(1)سورة الشعراء، الآيات:165-168
(2)سورة هود، الآية:77
(3)سورة هود، الآية:78
(4)سورة هود، الآية:81

ثانيا: النظر في أحوال المعاصرين، والاعتبار بسير الغابرين

يعمل هذا الأسلوب وفق الشيخ محمد رشيد رضا، على إحالة المخاطبين للنظر في أحوال الناس والنظر في أحوال المعاصرين، والاعتبار بسير الغابرين. فآياته تعالى في الأنفس أقوى من آياته في غيرها، يقول الله تعالى: **(وفي الأرض آيات للموقنين وفي أنفسكم أفلا تبصرون)**(1). كما إن الاعتبار بسير وأحوال الغابرين يفيد في تقوية الحوار وتمتينه مع المخالفين، فعلى سبيل المثال، "إقامة الحجة على أهل الكتاب بقطع إنزال الكتاب لاعتذارهم بيوم القيامة عن شركهم وضلالهم بأن الكتاب إنما أنزل على طائفتين من قبلهم وكانوا غافلين عن دراسته، جاهلين لهدايته، وأنه لو أنزل عليهم لكانوا أهدى منهم لذكاء عقولهم وعلو همتهم"(2).

كما يعتبر التذكير بأحوال الأمم أسلوبا بانيا في إقامة الحوار مع المخالفين، حيث يؤكد الشيخ رشيد رضا على أهمية التذكير بأحوال الأمم في كفرهم وعنادهم، وقيام حجج الرسل عليهم(3).

وعلى سبيل المثال، يذهب الشيخ رشيد رضا في تفسيره لمقام الأنبياء والرسل عند الله تعالى، ورده على المخالفين والمجادلين الذين زعموا أن الرسول من الله يجب أن يكون ملكا أو أن يؤيد بملك يكون معه كما حكاه عنهم بقوله: **(وقالوا مال هذا الرسول ياكل الطعام ويمشي في الأسواق لولا أنزل إليه ملك فيكون معه نذيرا)** (4)، حيث قال رشيد رضا إن بعض الناس غالوا في الأنبياء والرسل، كما غالى آخرون في إنكار رسالتهم واختصاص الله تعالى إليهم بوحيه إليهم، فأولئك الغلاة أفرطوا في تصوير خصوصيتهم، وزادوا فيها بأوهامهم وأهوائهم، وهؤلاء فرطوا فيها، فلم يروا لهم مزية يمتازون على غيرهم بها، أولئك

---

(1) تفسير القرآن الحكيم/المنار ، 241/8.
(2) تفسير القرآن الحكيم/المنار، 241/8.
(3) تفسير القرآن الحكيم/المنار، 241/8.
(4) سورة 33333333333333

زادوا في بيان حقيقتهم فضلا فصلهم من نوع الإنسان، وهؤلاء جعلوا بشريتهم مانعة من امتيازهم على سائر أفراد الناس، إذ رأوهم بشرا وظنوا أن الوحي يخرجهم منها فيجعلهم كالملائكة كما يزعم الغلاة – قال تعالى: **(وما قدروا الله حق قدره إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء)**(1)، أي إنهم ما عرفوا الله حق معرفته ولا عظموه حق تعظيمه بإنكارهم قدرته على إنزال شيء من العلم على قلوب بعض البشر، لاقتضاء علمه وحكمته أن يكونوا معلمين لسائر البشر ما فيه هدايتهم، كما أن الغلاة فيهم ما قدروا الله حق قدره إذ زعموا أنه جعلهم شركاء له في علم الغيب، والتصرف في ملكه بالعطاء والمنع(2).

كما بين الشيخ رشيد رضا في هذا المقام بطلان ما سرى إلى المسلمين من أهل الوثنية والكتب المحرفة من الغلو في الأنبياء والصالحين كزعمهم أنهم يعلمون الغيب، ويتصرفون في خزائن ملك الله بالعطاء والمنع والضر والنفع، وإلحاقهم إياهم بالملائكة من عالم الغيب، حتى صاروا يطلبون منهم ما لا يطلب إلا من الله تعالى، وذلك عين العبادة التي يسمى الذين توجه إليهم آلهة(3).

ثالثا: الانقياد للحجة وعدم التعنت في قبول الحق

يعتبر الانقياد للحجة وعدم التعنت في قبول الحق أحد تطبيقات أصل الحوار "التزام الحجج والأدلة العقلية"، ذلك أن عدم الانقياد والتعنت والتعجيز يمنع من الوصول إلى الحقيقة، ويحول دون التزام الحجج والأدلة، فالشيخ رشيد رضا وقف عند سؤال أهل الكتاب للنبي صلى الله عليه وسلم في قول الله تعالى: **(يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاء فَقَدْ سَأَلُواْ مُوسَى أَكْبَرَ مِن ذَلِكَ فَقَالُواْ أَرِنَا اللّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُواْ الْعِجْلَ مِن بَعْدِ مَا جَاءتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَن ذَلِكَ وَآتَيْنَا مُوسَى سُلْطَانًا مُّبِينًا)** "(4)،

(1) سورة 91. 333333333333333333
(2) تفسير القرآن الحكيم/المنار، 245/8.
(3) تفسير القرآن الحكيم/المنار، 245/8.
(4)سورة النساء، الآية:153

حيث بين أن هذا السؤال كان على سبيل التعنت، والتعجيز، لا بقصد طلب الحجة لأجل الاقتناع، وإن تعجب أيها الرسول من سؤالهم، وتستنكره وتستكبره عليهم فقد سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا أرنا الله جهرة، سأله ذلك سلف هؤلاء الذين يسألونك أن تنزل عليهم كتابا من السماء، وإنما الخلف والسلف في الصفات والأخلاق سواء؛ لأن الأبناء ترث الآباء، والإرث يكون على أشده وأتمه في أمثال هؤلاء اليهود الذين يأبون مصاهرة الغرباء، على أن سنة القرآن، في مخاطبة الأمم والحكاية عنها، معروفة، وهو أن الأمة لتكافلها، وتوارثها، وإتباع خلفها لسلفها تعد كالشخص الواحد فينسب إلى المتأخرين منها ما فعله المتقدمون، ويمكن جريان الكلام هنا على طريق الحقيقة، بصرف النظر عن هذه السنة؛ وذلك أن كلا من السؤالين مسند إلى جنس أهل الكتاب، وهو لا يقتضي أن يكون الأفراد الذين أسند إليهم السؤال الأول عين الأفراد الذين أسند إليهم السؤال الثاني(1).

يلاحظ من هذا التفسير، أن الشيخ رشيد رضا لجأ إلى أسلوب المنطق في تبرير الأمور، بحيث اعتبر طلب أهل الكتاب للنبي صلى الله عليه وسلم في تنزل كتاب عليهم من السماء، أنه على سبيل التعنت بحيث إنهم يعلمون أن طلبهم هذا هو طلب أسلافهم لموسى عليه السلام، وهو يعلمون حقيقة جواب موسى لهم، فلم إعادة طرحه مرة أخرى للنبي محمد صلى الله عليه وسلم، وقد أتى الشيخ رشيد رضا بفكرة الخلف والسلف، ليؤكد من خلالها أن الخلف والسلف في الصفات والأخلاق سواء؛ لأن الأبناء ترث الآباء، والإرث يكون على أشده وأتمه في أمثال هؤلاء اليهود.

ويذكر الإمام ابن قدامة المقدسي: "قد بلغني عن واحد منهم أنه قيل له سورة البقرة هي سورة آل عمران قال نعم، وإن قالوا إن كلام الله عز وجل هو هذه الكتب وإن التوراة والإنجيل والزبور والقرآن كلام الله عز وجل القديم لكن لم ينزل

(1) تفسير القرآن الحكيم/المنار، 11/6.

منه شيء على الأنبياء ولا هو شي يحفظ ولا يتلى ولا يسمع، وإنما أنزل عبارته كذبهم القرآن والسنة وإجماع الأمة فإنه لا خلاف بين المسلمين كلهم أن القرآن أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم وأن التوراة أنزلت على موسى والإنجيل على عيسى والزبور على داود والله عز وجل يقول "**الر تلك آيات الكتاب المبين إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون**" ... والسنة مملوءة منه فإن قالوا فكتاب الله غير القرآن قلنا خالفتم رب العالمين وخرقتم إجماع المسلمين وجئتم بما لم يأت به أحد من الملحدين فإنه لا خلاف بين المسلمين إن كتاب الله هو القرآن العظيم المنزل على سيد المرسلين بلسان عربي مبين والله تعالى قد أخبر بذلك فقال سبحانه **(الر تلك آيات الكتاب المبين إنا أنزلناه قرآنا عربيا)**(1)، وقال: **(حم والكتاب المبين إنا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون)**(2) (3).

رابعا: الاتفاق على منطلقات ثابتة وقضايا مُسَلَّمة

قد يكون مرجع هذه المسلَّمات والثوابت أنها عقلية بحتة لا تقبل النقاش عند العقلاء المتجردين، أو تكون مُسَلَّمات دينية لا يختلف عليها المعتنقون لهذه الديانة أو تلك، وبالوقوف عند الثوابت والمُسَلَّمات، والانطلاق منها يتحدد مُريد الحق ممن لا يريد إلا المراء والجدل والسفسطة.

إن الحوار في بعض الأشياء التي تكون موضع إجماع بين المسلمين، ومحل اتفاق، يكون من قبيل العبث وتضييع للوقت، وهو نوع من اللغو المنهي عنه. وتتلخص هذه الأشياء في كل ما ثبت بنص شرعي قطعي الدلالة والثبوت، والذي لا يحتمل أكثر من تأويل، حيث لا يجوز للمسلم أن يتحاور مع أخيه المسلم في هذه الدائرة طلبا للمحاججة والمنازعة في أمور مسلم بها.

---

(1) سورة يوسف، الآيتان:1-2

(2) سورة الزخرف، الآيات:1-3

(3) حكاية المناظرة في القرآن مع بعض أهل البدعة، ابن قدامة المقدسي، تحقيق عبد الله يوسف الجديع، نشر مكتبة الرشد - الرياض ط/1، 1409، ص:20 وما بعدها.

والله تعالى يقول: **وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمْ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالا مُبِينًا** (1)، ويقول أيضا: **(يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**(2). فما علم من الذين بالضرورة كوجوب الصلاة والزكاة والصيام وحرمة الزنا والسرقة والربا، وهذا الضرب لا يجوز أن يكون موضعا للاجتهاد، لأن المخالفة فيه لا تؤدي إلا إلى تكذيب الله ورسوله(3).

ومن جملة ذلك ذكر العلماء أنه يجب تجنب القطع في المسائل الاجتهادية. فالاجتهاد إذا كان وفقا لأصول الاجتهاد ومناهج الاستنباط في علم أصول الفقه، يجب عدم الإنكار عليه، ولا ينكر مجتهد على مجتهد آخر، ولا ينكر مقلد على مقلد آخر، وإلا أدى ذلك إلى فتنة وفوضى.

فليس لمسلم مقتنع بهذه الصفة التعبدية والتشريعية أن يبدي ما يخالف ما أمر الله عز وجل به، حيث لوحظ في كثير من المناسبات الجرأة الزائدة عند بعض الناس حينما يخوضون في أمور قطعية، لا تحتمل النقاش والجدال. بحيث تعقد ندوات ومحاضرات ولقاءات بغاية الاستهزاء والسخرية المستبطنة من نصوص قرآنية وحديثية صحيحة؛ بدعوى أن الإسلام دين الحوار وقبول الرأي الآخر، يقول الله تعالى: **(وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ**(4).

فهناك قضايا لا يجوز الحوار فيها إذا اقتنعنا بمشروعية الحوار وفائدته الظاهرة، فينبغي أن ننظر إلى أنه مشروع بحدوده وجدواه، فالحوار ليس مشروعا مشروعية مطلقة، لكي يتناول كل شأن، فهو ليس من قبيل الفضول وحب

---

(1)سورة الأحزاب، الآية:36

(2)سورة الحجرات، الآية:1

(3) مقدمة من أجل تأصيل التسامح بين المسلمين، مصطفى بن حمزة، جامعة الصحوة الإسلامية الدورة الثالثة شعبان/يناير 1994 في موضوع مفهوم التسامح في البناء الحضاري الإسلامي ص:148

(4)سورة التوبة، الآية:65

الاستطلاع والجدل في المسائل. بل هنالك قضايا محددة ليس من الجائز الخوض فيها بحوار أو جدال إما بسبب محدودية العقل البشري إزاءها أو بسبب عدم ترتب أي ثمرة علمية أو عملية من ورائها، أو لأنها محسومة أساسا بنص شرعي أو إجماع.

لكن هناك مجال أرحب وأوسع لممارسة الحوار بين المسلمين، ويتعلق الأمر بالدائرة التي ليس فيها حكم ثابت، أو الذي يحتمل أكثر من معنى وتأويل، أو سكت عنها الشرع وما ارتبط بأعراف الناس. هنا يجوز للمسلمين أن يتوسعوا في مداخل ومخارج الحوار، فمادام النص المتحاور من أجله ظني الدلالة والثبوت ويحتمل أكثر من معنى وتفسير، أو أن هناك نصوصا أخرى تتناول نفس الموضوع لكن بطريقة أخرى وبمعنى آخر إما من حيث التقييد أو الإطلاق أو التعميم أو التخصيص أو الترجيح...

إن أصل الاتفاق على منطلقات ثابتة وقضايا مُسَلَّمة، يستدعي الحديث عن ما يقع فيه الحوار بين مجتهد ومقلد، فأحدهما يسمح لمساحة العقل أن تتسع وتكبر من خلال استقراء النصوص واستنباط أحكامها ومحاولة تكييفها مع واقع الناس كما وكيفا، وكلما تغير هذا الواقع تغيرت هذه الأحكام المستنبطة من أدلتها التفصيلية الظنية تبعا لاجتهادات العقل المسلم، في حين الثاني لا يريد أن يتعب نفسه في النظر في نصوص القرآن والحديث غير القطعية، مكتفيا بما قال الأولون، وما استنتجته القرون الأولى لهذه الأمة، مقفلا بذلك باب العقل والاجتهاد، وهو غير مستعد حتى للحوار، حيث مجال بسط الأدلة والحجج. فالذين سبقونا بالإيمان كانت لهم ظروف ومعطيات تختلف بنسبة معينة عن واقعنا اليوم، فهم كيفوا النصوص القرآنية والحديثية الظنية مع حياتهم واحتياجاتهم وأعرافهم على أساس احترام قاعدة عدم الإخلال بالثوابت الكلية للشريعة والسياق العام الذي ينبغي أن يتحرك فيه المسلم. فلهم ما كسبوا، ولنا ما كسبنا، وليس كسبهم حجة لنا في الدين، إلا ما أجمعت عليه الأمة، يقول الله

تعالى مبرزا هذا المعنى، وان كان في سياق آخر: **(تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ)** (1).

إن الاتفاق على منطلقات ثابتة وقضايا مُسَلَّمة تجعل كل طرفي الحوار مؤهلين لوضع حد مشترك من النقاط المتفق عليها بينهما والتي يسلم بها الطرفان، والمحاور الناجح هو الذي يظهر مواطن الاتفاق. والبدء بالأمور المتفق عليها يساعد على تقليل الفجوة، ويوثق الصلة بين الطرفين، ويعيد الحوار هادئا هادفا.

أما إذا كان البدء بذكر مواضع الخلاف وموارد النزاع فإن فرص التلاقي تقل، وفجوة الخلاف تتسع، كما أنه يغير القلوب، ويثير النفوس للغلبة دون النظر إلى صحة الفكرة. فالبدء بالنقاط المشتركة يساعد على تحرير محل النزاع، وتحديد نقطة الخلاف، ويفيد في حسن ترتيب القضايا والتدرج في معالجتها.

المبحث الثاني: التجرد، وسلامة الكلام من التناقض

يقصد بالتجرد الابتعاد عن التعصب للأشخاص والأفكار، وهو يعني الحكم على العقل والفكر بالجمود على الفكرة التي قد تكون خاطئة أو صائبة. كما أن الانتصار للأفكار يتخذ عدة صور، أبرزها محاولة الادعاء باحتكار الحقيقة واتهام الآخرين بالخطأ دائماً، الشيء الذي يدفع في اتجاه مهاجمة الآخرين وتأكيد ذاته من خلال هدم آراءهم ومناهجهم. وهم في ذلك يكونون قد أساؤوا لسنن الاختلاف، وينطبق هذا أيضا، على المتعصبين للمذاهب الفقهية: فهُم "الذين أساؤوا فهْم الاختلاف وحقيقته وشوهوا معنى المذاهب الفقهية، وحملوا غيرهم بذلك على أن يعتقدوا أن اختلاف الفقهاء إنما هو اختلاف تحزب وافتراق"(2).

---

(1)سورة البقرة، الآية:134

(2)نظرية التقعيد الفقهي وأثرها في اختلاف الفقهاء، الروكي محمد، منشورات كلية الآداب الرباط1994 ص:.187

ومن أعظم الأخطار الفكرية التي يفرزها التعصب أنه يجعل الحقيقة ذاتية ومتعددة ومتناقضة، وهو يتعارض مع كون الحقيقة واحدة في الأمر الواقع؛ فكل متعصب لرأيه يصنع حقيقة خاصة لنفسه ويؤكد خطأ الآخرين، ولو كان الأمر هكذا بأن يجعل كل شخص أو جماعة حقيقة خاصة بها تنسجم مع مصالحها ورغباتها وترفض الحوار مع الآخر، لتعطل دور العقل في التفكير والاستدلال ولما كان له الحكم في الفصل بين القضايا وكشف التناقض.

إن أصل التجرد، وسلامة الكلام من التناقض يجمع مجموعة من الأصول الفرعية، وهي على الشكل الآتي:

أولا: تجنب العناد وآفة التقليد

يستنتج الشيخ رشيد رضا آفتين معيقتين للحوار والإقناع، وهما العناد والتقليد، فأولئك الذين كانوا يطالبون الرسول صلى الله عليه وسلم بالآيات على صدقه لم يكونوا ينظرون في الآيات ولا يحفلون بأمر الاستدلال، بل كانوا يعرضون عن كل آية لأنهم فريقان: فريق الرؤساء والكبراء الذين شغلهم الكبر والحسد للرسول والعداوة له عن النظر فيما جاء به من هدى وما أقام عليه من دليل، وفريق المقلدين الذين ألفوا ما ورثوا عن آبائهم وأجدادهم فأعرضوا عن كل ما يخالفه، ولا سيما إذا كان مزيفا له ومضللا لأهله(1).

إن سؤال بعض أهل الكتاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم رؤية الله تعالى جهرة أكبر وأعظم من سؤالهم النبي صلى الله عليه وسلم أن ينزل عليهم كتابا من السماء، وكل من السؤالين يدل على جهلهم أو عنادهم، أما سؤال إنزال الكتاب فهو يدل على أحد أمرين :إما أنهم لا يفهمون معنى النبوة والرسالة على كثرة ما ظهر فيهم من الأنبياء، والرسل، ولا يميزون بين الآيات الصحيحة التي يؤيد الله بها رسله، وبين سائر الأمور المستغربة ؛ كحيل السحر والشعوذة

(1) تفسير القرآن الحكيم/المنار، 247/8 .

لمخالفتها للعادة، (وإما أنهم معاندون يقترحون ما يقترحون تعجيزا ومراوغة. وأيا ما قصدوا من هذين الأمرين فلا فائدة في إجابتهم إلى ما سألوا؛ كما قال تعالى في سورة الأنعام :**(ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس فلمسوه بأيديهم لقال الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين)**، وأما سؤالهم رؤية الله جهرة؛ أي عيانا، كما يرى بعضهم بعضا، فهو أدل على جهلهم وكفرهم بالله تعالى؛ لأنهم ظنوا أنه جسم محدود تدركه الأبصار، وتحيط به أشعة الأحداق، وقد عوقبوا على جهلهم هذا ؛ فأخذتهم الصاعقة بظلمهم إذ شبهوا ربهم بأنفسهم، فرفعوا أنفسهم إلى ما فوق مرتبتها، وقدرها وما قدروا الله حق قدره، والصاعقة نار جوية، تشتعل باتحاد الكهربائية الإيجابية بالسلبية، كما أن هذه الواقعة معروفة في كتبهم، وفيها التعبير بالنار بدل الصاعقة، وربما يظن الظان أنها نار خلقها الله تعالى من العدم، ولكن القرآن يبين لنا أنها من الصواعق المعتادة أرسلها الله عليهم عند ظلمهم هذا، ولا يمنع ذلك أن تكون حدثت بأسبابها، والله تعالى يوفق أقدارا لأقدار(1).

فكان هؤلاء المخالفون يريدون تعجيز الرسول في حوارهم معه، وذلك من خلال طلب الإتيان بالآيات على رسالته، وكان بأمر الله تعالى يحتج ويستدل عليها بشهادة الله له وهي أنواع، وبالقرآن الجامع لأقوى طرق الاستدلال العلمية، والعقلية على كونه آية في نفسه من وجوه كثيرة، وآية باعتبار كون من أنزل على قلبه وظهر على لسانه كان أميا لم يتعلم شيئا ما من أنواع العلوم الإلهية والشرعية والاجتماعية والتاريخية التي اشتمل عليها، وفيه بيان كون القرآن أدل على رسالة محمد صلى الله عليه وسلم من الآية الكونية التي أوتيها موسى وعيسى وغيرهما عليهم الصلاة والسلام على رسالتهم، بل إن آية القرآن أقوى

(1) تفسير القرآن الحكيم، 12/6 .

الحجج وأظهر الدلالات وهي مشتملة ومرشدة إلى كثير من الآيات والبينات(1).

ويعيب الشيخ رشيد رضا على المنكرين لآيات البعث، تعنتا وتعجيزا وعنادا وتقليدا، بحيث يظن الذين اعتادوا تلقي العقائد من طريق النظريات الجدلية، أن هذه دعاوى غير برهانية. وإنما هي أساليب خطابية. والصواب أنها أخبار أخبر بها من لا خلاف بين المؤمنين والكفار في صدقه وأمانته، وقد قام البرهان على رسالته. ولم يأت منكروها بدليل على إنكارها ولا شبهة. فيحتاج إلى إبطالها بالحجة. وإنما كان سبب الإنكار استغراب ما لم يعرف ولم يؤلف في هذه الدار، وهذا جهل وغفلة من قوم يؤمنون بأن الله تعالى هو الذي بدأ هذا الخلق، وبأنه هو الذي خلق السموات والأرض، وأنه قادر على كل شيء.

ولهذا اكتفى في هذه السورة بجعل هذه القضية في ثبوتها كالقضايا المسلمة مع التذكير في بعض الآيات بمشيئة الله النافذة وقدرته الكاملة، وحكمته في التكليف والجزاء وكونه رحمة منه تعالى وهو غني عن عبادة العباد، ولم يذكر هذه الصفات هنا بأسلوب الاستدلال لأنه لم يحك عن المنكرين شيئا من الاحتجاج، وما ثم احتجاج، ولا ما حكاه عنهم في غير هذه السورة من التعجب والاستغراب، فكان الغرض من سرد الآيات التأثير في النفس، فإن من غرائز البشر ومقتضى فطرتهم أن تتأثر أنفسهم وعقولهم بما يتكرر على أسماعهم من كلام الصادقين الموقنين، ولا سيما إذا كانوا هداة مهديين، وقد كان فيما نزل قبل هذه السورة حكاية تعجبهم من خبر البعث وتفنيد ذلك بأسلوب إقامة الحجة(2).

ثانيا: طلب الحق واجتناب الظن

يعتبر القرآن الكريم هو الوحيد الذي يملك الحق المطلق، فالحق واحد والحقيقة واحدة، مهما اختلفت السبل والوسائل، ويدعو له، وهو الذي أنزله الله تعالى على

(1) تفسير القرآن الحكيم/المنار، 247/8.
(2) تفسير القرآن الحكيم/المنار، 250/8 .

أنبيائه جميعا عليهم الصلاة والسلام،، ومع دلك أمروا أن لا يجادلوا الناس، بمختلف مناهجهم وشرائعهم، إلا بالتي هي أحسن، وبأفضل الطرق. لذلك فالحقيقة موجودة ومسالكها معروفة ومفتوحة للجميع، وهي الثابت الذي ينبغي أن يتمحور حوله الجميع.

يقول الله تعالى:

- **(المر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ وَلَكِنَّ أكثر النَّاسِ لَا يُومِنُونَ)** (1).

- **(هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الذينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ)**(2).

- **(وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنْ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنْ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إلى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ)**(3).

- **(كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمْ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إلا الَّذِينَ أوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنْ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إلى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ)**(4).

إن استقراء هذه الآيات، يبين أن الله تعالى أكد على أن كتابه لا يحمل إلا الحق الذي ينبغي أن يكون هو الحكم فيما بين الناس، مثيرا، من جهة، الانتباه إلى

---

(1)سورة الرعد، الآية الأولى.
(2)سورة الصف، الآية:9
(3) سورة المائدة، الآية:48
(4)سورة البقرة، الآية:213

ضرورة الأخذ بعين الاعتبار سنة الاختلاف والتنوع، ومن جهة أخرى،مؤكدا على الاجتهاد في الاستباق إلى الخيرات التي مركزها ومحركها التماس الحق والحقيقة.

والتماس الحق في ظل خريطة متنوعة ومختلفة، تجمع عددا من المناهج والشرائع، تتطلب أن يفتح الحوار أبوابه ومجالاته لبسط الأدلة والحجج المنطلقة من هذا الاختلاف. فكل طرف يرسل دليله في إطار أنه يحتمل الصواب والخطأ من أجل الوصول إلى الحق والحقيقة، تاركا الحكم لله تعالى وحده يوم القيامة **(إلى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ)**(1).

ولتعميق هذه الحقيقة في نفوس البشر، يضرب الله مثلا ليقرب الفرق بين الحق والباطل من خلال آثارهما ونتائجهما، يقول الله تعالى:**(كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الارض كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الامْثَالَ**(2).

وبعد بيانه للفرق بين الحق والباطل، نجد القرآن الكريم يدعو بشكل صريح إلى أن يخرج كل طرف ما عنده من حجج وأدلة رغبة في الوصول إلى الحقيقة عن اقتناع تام.

يقول الله تعالى:

- **(وَنَزَعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ)(3)**

- **(يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إلى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ)(4)**

---

(1) سورة ، الآية:17
(2)سورة الرعد، الآية:17
(3)سورة القصص، الآية:75
(4)سورة الأنفال، الآية:6

وفي نفس الوقت يطلب من الذين يسعون إلى كتم الحق وإبطاله بالتعقل وتوظيف العلم الذي يملكونه.

يقول الله تعالى:

- **(يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ) (1).**

- **(قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ) (2).**

- **(يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُومِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ الا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ) (3)**

- **(كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالاحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ) (4)**

- **(وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ الا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنْذِرُوا هُزُوًا) (5)**

- **(وَلَمَّا جَاءَهُمْ الْحَقُّ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ)** (6)

أما إذا انطلق كل واحد من كونه يحوز الحقيقة المطلقة التي لا تحتاج إلى نقد أو مراجعة، مع تواجد الاختلاف الطبيعي، فإن لا أحد يملك الحقيقة المطلقة، والكل يملك جزءا منها، هي متحركة تصاغ في تفاعل المجتمعات ودفاع الناس بعضهم ببعض.

---

(1) سورة آل عمران، الآية:71
(2) سورة المائدة، الآية:77
(3) سورة الشورى، الآية:18
(4) سورة غافر، الآية:5
(5) سورة الكهف، الآية:56
(6) سورة الزخرف، الآية:

- (يَاأَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ الا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إلى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَأواتِ وَمَا فِي الارض وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا)(1)

- (اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ الا الْفَاسِقِينَ)(26)

- (وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ الا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنْ الْحَقِّ شَيْئًا)(2)

- (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ)(3)

- (سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الافَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أولَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ)(4)

- (وَالَّذِي أوحَيْنَا إِلَيْكَ مِنْ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ)(5)

- (وَيَرَى الَّذِينَ أوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقَّ وَيَهْدِي إلى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ)(6)

- (ذَلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ)(7)

---

(1)سورة النساء، الآية:171
(2):سورة النجم، الآية
(3)سورة محمد، الآية:2
(4):سورة فصلت، الآية
(5)سورة فاطر، الآية:31
(6)سورة سبأ، الآية:6
(7)سورة الأحزاب، الآية:4

- ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِير)(1)

- (يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمْ اللَّهُ دِينَهُمْ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ)(2)

- (وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتْ السَّمَاوَاتُ وَالارض وَمَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ)(3)

- (فَتعالى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالقرآن مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا)(4)

- (وَقُلْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِيسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا)(5)

- (قُلْ يَاأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ)(6)

- (فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلْ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنْ الْمُمْتَرِينَ)(7)

- (حَقِيقٌ عَلَى أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ الا الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِي بَنِي إِسْرَائِيلَ)(8)

- (قُلْ إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَكَذَّبْتُمْ بِهِ مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ إِنْ الْحُكْمُ الا لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ)(9)

---

(1)سورة لقمان، الآية:30
(2)سورة النور، الآية:25
(3)سورة المومنون، الآية:71
(4)سورة طه، الآية:114
(5)سورة الكهف، الآية:29
(6)سورة يونس، الآية:108
(7)سورة يونس، الآية:94
(8)سورة الأعراف، الآية:105

- **(وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنْ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنْ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ)**(1)

إن طلب الحق واجتناب الظن يقتضي استحضار الغض عن إساءة الآخر ومقابلتها بالإحسان، ذلك أنه لا ريب في أن اختلاف العقائد يورث الضغائن، وقد يصدر من اللسان ما يسوء المسلم سماعه، سواء ما كان متعلقا بمعتقده أم بشخصه، وهذه الإساءة فرع عن الكفر الذي يتلبس به المحاور، فماذا يكون موقف المحاور المسلم؟ هل يغلق باب الحوار ويوقف مسار الدعوة، أم يتغاضى عن خطأ الآخر سياسة وصونا لمصلحة الدعوة؟(2)

لا ريب أن الموقف يفرض التصرف الأمثل الذي يسلكه الداعية تجاه هذا العدوان، إذ قد أذن الشرع برد العدوان: "وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين" النحل: 126، قال القرطبي " :أيها المؤمنون من ظلمكم واعتدى عليكم، فعاقبوه بمثل الذي نالكم به ظالمكم، ولئن صبرتم عن عقوبته، واحتسبتم عند الله ما نالكم به من الظلم، ووكلتم أمره إليه حتى يكون هو المتولي عقوبته " لهو خير للصابرين" يقول: للصبر عن عقوبته بذلك خير لأهل الصبر احتسابا وابتغاء ثواب الله. وفي الصبر على أخطاء المخالف يقول الله: ادفع بالتي هي أحسن السيئة نحن أعلم بما يصفون" "المؤمنون: 96".

ومن مناظرات ابن تيمية للنصارى، ما حكاه في القاهرة فقال: لما قدمت القاهرة اجتمع بي بعض معظميهم من الرهبان، وناظرني في المسيح ودين النصارى، حتى بينت له فساد ذلك، وأجبته عما يدعيه من الحجة. وكان من أواخر ما خاطبت به النصراني أن قلت له :أنتم مشركون، وبينت من شركهم ما هم عليه من العكوف على التماثيل والقبور، وعبادتها، والاستغاثة بها. قال لي: نحن ما

---

(9)سورة الأنعام، الآية:57

(1)سورة المائدة، الآية:83

(2)الحوار مع أتباع الأديان - مشروعيته وآدابه، منقذ بن محمود السقار، رابطة العالم الإسلامي، ص:49.

نشرك بهم ولا نعبد هم، وإنما نتوسل بهم، كما يفعل المسلمون إذا جاءوا إلى قبر الرجل الصالح، فيتعلقون بالشباك الذي عليه ونحو ذلك. فقلت له: وهذا أيضا من الشرك، ليس هذا من دين المسلمين، وإن فعله الجهال، فأقر أنه شرك، حتى إن قسيسا كان حاضرا في هذه المسألة، فلما سمعها قال :نعم، على هذا التقدير نحن مشركون(1).

ثالثا: وضع الكلم في مواضعه وحسن التأويل

يقول الله تعالى: **(مِنْ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا ألسنتهم وَطَعْنًا فِي الدينِ**(2)، يقول بن كثير في تفسيره لهذه الآية: يتأولونه على غير تأويله ويفسرونه بغير مراد الله... قصدا منهم وافتراء(3)، أما تفسير المنار فقد ورد فيه أن "تحريف الكلم عن مواضعه هو: إمالته وتنحيته عنها كأن يزيلوه بالمرة أو يضعوه في مكان غير مكانه من الكتاب، أو المراد بمواضعه: معانيه؛ كأن يفسروه بغير ما يدل عليه"(4)؛ وهذا مرده إلى الانقباض والضيق الذي كانوا يحسون به في صدورهم عن تقبل الكلم وعدم تحريفه عن مواضعه وإن كان يخالف قناعاتهم وأهواءهم.

ويدخل في هذا الأمر قصة إبليس لما أثار مسألة الخلق في حواره مع الله تعالى، فكان قصده إخراج موضوع الحوار عن سكته الأصلية، وتحريف الكلم عن مواضعه، وهذا يفسر بالرغبة في صنع مشوشات على الموضوع الرئيسي للحوار، فقد أثار قضية الخيرية: **(قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ)**. يقول الإمام رشيد رضا: "الاستدلال على الخيرية، بالمادة التي كان منها التكوين، وهذا جهل ظاهر من وجوه) : أحدها (أن خيرية المواد بعضها على

---

(1)مناظرات ابن تيمية لأهل الملل والنحل، جمع وتعليق:عبد العزيز بن محمد بن علي آل عبد اللطيف، نشر مطابع أضواء المنتدى ط/1، 1426 هـ - 2005 م ص:16

(2)سورة النساء، الآية:46

(3)تفسير ابن كثير ج ص:

(4) تفسير القرآن الحكيم/المنار، 114/5.

بعض ليس من الحقائق التي يمكن إثباتها بالبرهان، وإنما هي أمور اعتبارية تختلف فيها الآراء والأهواء. وأصول المخلوقات المختلفة التركيب عناصر بسيطة قليلة يرجح أنها متحولة عن أصل واحد كما يعلم من فن الكيمياء. وثانيها أن بعض الأشياء النفيسة أصلها خسيس، فالمسك من الدم، وجوهر الألماس من الكربون الذي هو أصل الفحم، والأقذار التي تعاف من مادة الطعام الذي يشتهى ويحب(1).

وأما بخصوص حسن تأويل المسميات ووضعها في مكانها، يمكن القول إن تحديد المفاهيم والمصطلحات التي يدور حولها النقاش يعتبر أمرا مهما، بحيث يجب أن تكون واضحة جلية، وهو ما يسميه العلماء بتحرير موضع النزاع، فكثير من النقاشات التي تقدم اليوم مردها إلى خلاف في اللفظ.

ويجسد حوار إبراهيم عليه السلام مع الذي أتاه الله الملك خير مثال على الاستدلال بخطورة تأويل المسميات ووضع الاسم على غير مسماه، وهذا من شأنه أنه يعيق الحوار .

يقول الله تعالى: **(أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَاتِي بِالشَّمْسِ مِنْ الْمَشْرِقِ فَاتِ بِهَا مِنْ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ)**(2).

لم يخبر القرآن الكريم عن اسم الذي آتاه الله الملك، لكن تاريخ القصص الديني للأنبياء يعطيه اسم النمرود(3)، ومن خلال السياق القرآني، كان طاغية مستبدا، مفسدا في الأرض، ومن تم كان ولوج مسلك الإصلاح مطلوبا وهو ما

---

(1) تفسير القرآن الحكيم/المنار، 294/8.
(2)سورة البقرة، الآية:257
(3)الحوار في القرآن، محمد حسين فضل الله، ط/1 ،1979-1399، الدار الإسلامية، ص:260

عبر عنه إرسال نبي الله إبراهيم عليه السلام من أجل أن يصلح ما أفسده النمرود، وإن كان هذا الإصلاح باللسان والبيان ومقارعة الحجة بالحجة.

بدأ الحوار بينهما، بسؤال إبراهيم عن أمر كان يعلم أن النمرود كان يدعيه، وهو أمر الإحياء والإماتة: قال إبراهيم عليه السلام: إن ربي يحيي ويميت، فقال النمرود: أنا أحيي و أميت.

في هذا الموقف حاول ابراهيم عليه السلام حاول أن يثير قضية الألوهية التي ادعاها النمرود من خلال طرحه لمسألة الإحياء والإماتة، وأن الله رب العالمين هو الذي يحيي ويميت. ووجد هذا الطاغية الفرصة لاستغلال سذاجة أتباعه البسطاء في أسلوب التمويه الذي يعتمد على التلاعب بالألفاظ فأجاب ابراهيم عليه السلام بأنه يحيي ويميت، لأنه يستطيع أن يبقي المحكوم عليه بالموت، فيهبه الحياة، وأن يعدمه فيقضي عليه بالموت فيكون مالكا لأمر الحياة والموت.

فإبراهيم عليه السلام علم معنى الإحياء من عند الله تعالى في ذلك الحوار الذي خلده القرآن الكريم في آيات موجزات فقال: **(وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُومِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذ أَرْبَعَةً مِنْ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ ياتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ)**(1)

ومن تم كانت فطنته عليه السلام إلى أن حواره سيذهب ضحية المصطلحات والكلمات التي تحتمل أكثر من معنى وتأويل فمعنى الإحياء والإماتة يتسع للجميع، فكل الناس يقتلون ويعتقون، وهم في دلك يحيون ويميتون، لكن هل يملكون الأسباب الطبيعية للموت والإحياء.

قال النمرود (وهو لا يريد أن يبدو مثل باقي الناس): بل أملك الأسباب الطبيعية للموت والحياة.

---

(1)سورة البقرة، الآية:259

قال إبراهيم عليه السلام: فإذا كنت تملك الأسباب الطبيعية للإحياء والإماتة، وأنت إله كما تدعي، والأسباب الطبيعية هي جزء من الأسباب الكونية العامة للحياة، فإن ربي الإله الأحد صاحب الكون يأتي بالشمس من المشرق، فات بها من المغرب إن كنت تملك الأسباب الكونية كما تدعي... فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ.

ومن تم يكون أسلوب نبي الله ابراهيم في حواره مع النمرود قد قارب النقط التالية:

1. الثقة بالنفس المنطلقة من الثقة المطلقة بالله تعالى، فهو صاحب الحقيقة الواحدة والوحيدة، وعلى أساسها تتحدد معالم الكون والحياة، فلا احد يعلو على الأخر مدعيا امتلاك الألوهية والربوبية.

2. مسايرة النمرود واستدراجه من النسبي إلى المطلق، ومن الجزء إلى الكل، ومن الظني المحتمل إلى القطعي الذي لا يطيق إلا معنى واحدا، وفي ذلك يكون قد أصاب النمرود في مقتل فكري عجز جداله عن مسايرة الحجة بالحجة. فلم يتمكن أن يجيب إبراهيم، وظهر على الكل أن النمرود كاذبٌ في دعواه.

3. إعطاءه الفرصة الكافية للنمرود من أجل أن يبسط رأيه وحجته ودليله عليه. مع تمكينه من شرح الحجة والدليل.

رابعا: العدل والإنصاف مع المخالف

إذا كان القرآن الكريم قد تطرق إلى عدة حوارات مع أهل الكتاب، فإن الغرض كان هو بيان التجرد العام للمحاور، والبحث سويا للوصول إلى الحقيقة المطلوبة، ومن ثم لم يدخر القرآن الكريم جهدا في تقرير خاصية العدل والإنصاف مع المخالفين، وذكر أخلاقهم ومواصفاتهم، رغم انحرافاتهم العقدية وتأويلاتهم غير السليمة لرسالة رسلهم وأنبياءهم.

والناظر في القرآن الكريم، سيجد أن الله تعالى شهد لبعض أهل الكتاب بصفة القسط، قال الله تعالى: **(شَهِدَ اللَّهُ انهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)**(1)، كما شهد أيضا لبعضهم بصفة الإيمان، قال تعالى: **(مِّنْ أهل الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللهِ آناء اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ يُومِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْم)**(2).

ومن باب الإنصاف أن أهل الكتاب ليسوا سواء في تقبلهم للحق، والعمل به، فمنهم من أثنى القرآن على بعض أخلاقهم، ومنهم من جاء فيهم الوعيد على أخرى. وما ينطبق على أهل الكتاب من كفر وإيمان وخير وشر، يكاد يسري مفعوله على كل إنسان، يقول الله تعالى في شانهم: **(فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالآخرةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ، وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ)**(3)، مقررا قاعدة في أسلوب التعامل مع الآخر مفادها أنه لا يمكن أن ننظر إلى أهل الكتاب من منظار واحد، فأحوالهم تختلف من فرد إلى آخر، واستجابتهم تقدر بمقدار ما خصصه لمساحة العقل والنظر في خريطة تفكيره، فمنهم **(مَنْ إن تَامَنْهُ بِقِنطَارٍ يودِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ ان تأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَا يوَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا)**(4).

ومن كمالات الإنصاف هو أن القرآن الكريم في منهج تعامله مع أهل الكتاب، ذكر ما كان غالبا على سلوك أهل الكتاب، حتى يعلمها رسول الله صلى الله عليه وسلم ويأخذ منها العبر والفوائد، ومن جملة ذلك:

---

(1) سورة آل عمران، الآية:18
(2) سورة آل عمران، الآية:113
(3) سورة آل عمران الآيتان 55-56
(4) سورة آل عمران، الآية:74

. صفة المحاججة بغير علم

يقول الله تعالى: **(يَاأهل الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا انزِلَتْ التَّوْرَاةُ وَالْانجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ، هَاانتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَانتُمْ لَا تَعْلَمُونَ)** (1)

. **صفة الرغبة في الإضلال**

يقول الله تعالى:

- **(وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ أهل الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ)** (2).

- **(وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أهل الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أنفسهم مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى ياتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِن اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)** (3).

. صفة إلباس الحق بالباطل

يقول الله تعالى:

- **(يَا أهل الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَانتُمْ تَشْهَدُونَ يَاأهل الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَانتُمْ تَعْلَمُونَ)(4).**

- **(يَا أهل الْكِتَابِ قَدْ جَاءكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ قَدْ جَاءكُم مِّنَ اللهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ)** (5).

---

(1)سورة آل عمران، الآيتان:64-65
(2)سورة آل عمران، الآية:68
(3)سورة البقرة، الآية:108
(4)سورة آل عمران، الآيتان:69-70
(5)سورة المائدة، الآيتان:16-17

. صفة الإعراض عن الحق

يقول الله تعالى: **(أَلَمْ تَرَى إلى الَّذِينَ أوتُوا نَصِيبًا مِنْ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إلى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ وَهُمْ مُعْرِضُونَ، ذَلِكَ بِأَنهُمْ قَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانوا يَفْتَرُونَ)**(1)

. صفة النفاق

يقول الله تعالى: **(وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أهل الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي انزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ، وَلَا تومِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إن الْهُدَى هُدَى اللَّهِ)**(2)

. صفة الكذب

يقول الله تعالى: **(وَان مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ لِتَحْسبُوهُ مِنْ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنْ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ)** (3)

بعد بيان ما يتميز به أهل الكتاب في الغالب من صفات، يحق للمسلم أن يحاورهم ويجادلهم بالتي أحسن، على الهدى الذي بينه الإسلام في التعامل مع المخالف.

إن استحضار هذه الصفات المذكورة في القرآن الكريم عن بعض أهل الكتاب، يدعو إلى عدم إغفال "الكلمة السواء" والتي تجمع الجميع، ولا يتم الاختلاف حولها إلا من قبيل بعض الإسقاطات الغير الموضوعية. ويبرز القرآن الكريم هذه الدعوة بقول الله تعالى: **قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إلى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا**

---

(1)سورة آل عمران، الآيتان:23-24
(2) سورة آل عمران، الآيتان:71-72
(3)سورة آل عمران، الآية:77

وَبَيْنَكُمْ إلا نَعْبُدَ إلا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ(64).

ارتباط الحوار بشرط الحرية يدفع بقوة في أفق التماس الحقيقة التي تعتبر ضالة المتحاورين ابتداء وانتهاء. فبالحرية يجد المتحاور القدرة على تصريف آرائه وطرحها بطريقته الخاصة.وكلما أصيب شرط الحرية بعاهة فان ذلك ينعكس سلبا على جدوائية الحوار وغايته.

وما دامت غاية الحوار هي البحث في إمكانية تضييق نقط الاختلاف، فالحرية تبعد المجتمع عن الفوضى وتؤسس نظاما اجتماعيا راسخا يعتمد على التزام الفرد واندماجه فيه بل إن عدم الحرية يقود نحو الفوضى حيث يسعى كل فرد لتحقيق مصلحته الضيقة والعزلة عن التوحد في المجتمع.

الفصل الثاني:

ضوابط الحوار في القرآن الكريم من خلال تفسير المنار

الفصل الثاني: ضوابط الحوار في القرآن الكريم من خلال تفسير المنار

الضبط لغة: لزوم الشيء وحبسه، ضبط عليه وضبطه يضبط ضبطا وضباطه، والضبط: لزوم شيء لا يفارقه في كل شيء، وضبط الشيء حفظه(1)، وفي اصطلاح الأصوليين هو ما رتب الشرع عليه الحكم؛ لكونه مظنة حصول الحكمة، فالضابط هو حكم كلي ينطبق على جزئياته.

إن المراد بضوابط الحوار هي تلك القواعد والشروط التي وضعها الفقهاء لتنظيم مجال الحوار، فهي تلك القواعد التي تجمع أصول هذا الحوا، لكي تتحكم في فروعه؛ ومقاصده الشرعية من أجل ضبط متغيراته ومستجداته، وهذا لن يتأتى إلا في إطار "بيان القواعد الجامعة والضوابط المضطردات وجمع المسائل المتشابهات والتمثيل بفروع مستخرجة من أصل أو مبنية عليه وحصر نفائس من الأحكام المتفرقات وبيان شروط كثير من الأصول المشهورات"(2)؛ ومن ثم تسهم معرفة الضوابط التي تجمع جموعا والقواعد التي ترد إليها أصولا وفروعا في بيان الصورة المناسبة التي تضبط آلية الحوار، وتؤهله لكي يؤدي أدواره ووظائفه بعيدا عن كل تهيب أو تسيب.

وعلى اعتبار أن هناك مجموعة من الضوابط للحوار، فإنه سيتم الاقتصار على ما يلي:

المبحث الأول: أهلية المحاور

إذا كان من الحق ألا يمنع صاحب الحق عن حقه، فمن الحق ألا يعطى هذا الحق لمن لا يستحقه، كما أن من الحكمة والعقل والأدب في الرجل ألا يعترض على ما ليس له أهلاً، ولا يدخل فيما ليس هو فيه كفؤاً. ومن الخطأ أن يتصدى

---

(1) لسان العرب، ابن منظور، ج/7، (مادة: ضبط)، تحقيق عامر أحمد حيدر، دار الكتب العلمية بيروت، 1430هـ /2009، ص: 384

(2) الأصول والضوابط، النووي أبو زكريا ، تحقيق: محمد حسن هيتو، ط/1، دار البشائر الإسلامية - بيروت، 1406، ص:22).

للدفاع عن الحق من كان على الباطل. ومن الخطأ أن يتصدى للدفاع عن الحق من لا يعرف الحق.

وكثير من الحوارات غير المنتجة مردُّها إلى عدم التكافؤ بين المتحاورين، ولقد أثر عن الشافعي رحمه الله قوله: (ما جادلت عالماً إلا وغلبته، وما جادلني جاهل إلا غلبني). وهذه إشارة إلى الجدال العقيم؛ الذي يجري بين غير المتكافئين.

أولا: فقه لغة الحوار

اللغة هي وسيلة الحوار وقناته، فهي التي نحمل على ظهرها الكلام ومراجعاته من جميع أطراف العملية الحوارية. وهي في دلك قد تتحول إلى عائق كبير في إدارة عجلة الحوار، من حيث إصابتها بالعجز عن البيان والإيضاح.

واللغة لها ارتباط بالمعرفة، بدونها لا يمكن للمعرفة أن تقوم وتؤسس، ونفس الشيء يذكر بالنسبة للغة في ارتباطها بشرط المعرفة، فعندما يعمد منتجو المعرفة إلى تقييد معارفهم وعلمهم بمصطلحات ورموز تجعل من الألفاظ ألغازا يصعب فهمها على من يقرأها، أو من يسمعها. وعوض أن يصبح الفضاء الحواري ناظرا في تحقيق التوافق والتعارف بين عوالم الأفكار والآراء، يتحول المسار بأكمله إلى فك ألغاز بعض الألفاظ والضمائر وما تحويه من معاني.

وفي القرآن الكريم تأكيد هدا المعنى، فدعوة جميع الأنبياء بدون استثناء، كانت ترمي إلى تبسيط الخطاب واعتماد لغة مفهومة ومستوعبة من طرف الجميع، حتى يتحقق التواصل الذي هو الأصل والهدف.

يقول الله تعالى:

- **(وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ)**(1).

- **(قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ**(2).

والآيات كثيرة في هذا المقام، فجميع الناس يفهمون معنى العبادة ومقتضياتها، وبالتالي لن يضيعوا أوقاتهم وجهودهم في تفسير الكلام وتأويله ومراجعته حتى تضيع الغاية الكبرى منهم.

ومن تم يصبح فقه اللغة الذي يحتاج إلى رصيد من العلم، شرطا ضروريا في إقامة أركان الحوار.

إن المتحاور الفقيه في اللغة هو الذي يعرف كيف يوصل أفكاره إلى الآخر بأفضل الطرق دون تعقيد مركب، وهو في ذلك أشد الحرص على أن تلقى أفكاره الاستجابة لدى الآخر، والاستجابة لا تتحقق إلا بشرط الوضوح التام الذي لن يكون أحسن، إلا في إطار البساطة المتقنة والغير المخلة بالمقاصد المرجوة.

ومن فقه النبي صلى الله عليه وسلم للغة الحوار مع الآخر، هو استعماله لنفس اللفظ المستعمل في سياق حديث الآخر، وذلك بهدف التقريب، والتلميح إلى انه إذا كان الاتفاق على استعمال نفس اللفظ فينبغي أن نوجه الاهتمام حتى يحصل الاتفاق على مستوى الحقيقة، واضرب هنا ثلاثة أمثلة للتدليل على ذلك:

يقول الله تعالى: **(وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ يُومِنُ بِاللَّهِ وَيُومِنُ لِلْمُومِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُوذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)**(3).

---

(1)سورة العنكبوت، الآية:16

(2)سورة هود، الآية:84

(3)سورة التوبة، الآية:61

وفي حوارهم مع النبي صلى الله عليه وسلم، قال المنافقون كلمة أذن، وهي السماع للناس، لكنه صلى الله عليه وسلم قالها أيضا حاملا إياها على حسن الخلق والرحمة للمومنين.

يقول الله تعالى: **(يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُومِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ)**(1).

كلمة العزة لها معنيان واستعمالان، الذي يحدد هذه المعاني والاستعمالات هو المنطلق الذي ينطلق منه الشخص، فتحديد المنافق ليس هو تحديد لغير المنافق، فالجميع يشتركان في نفس بنية الكلمة، لكنهما يختلفان في مدى تحميلها من المعاني والمرامي. ومن تم يكون فقيه الحوار هو الذي يستطيع أن يتحدث نفس لغة الآخر لكن بمعناه وفهمه، وهذه مهمة شرط المعرفة والعلم،فالعزيز في مجتمع المنافقين هو الذي ترأس على كرسي النفاق من احتيال وقنص للحقيقة وخداع للنفس، والكذب عليها وعلى الناس أجمعين، لكن العزيز في دائرة الإسلام هو الذي عاش لله ولرسوله وللمؤمنين.

يقول الله تعالى: **(يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ**(2)، وقف ابن عربي عند هذه الآية حيث أشار إلى أن اليهود كانت تأتي النبي صلى الله عليه وسلم فتقول: يا أبا القاسم راعنا، توهم أنها تريد الدعاء من المراعاة، وهي تقصد به فاعلا من الرعونة. وروي أن المسلمين كانوا يقولون: راعنا من الرعي فسمعتهم اليهود فقالوا: يا راعنا كما تقدم، فنهى الله تعالى المسلمين عن دلك لئلا يقتدى بهم اليهود في اللفظ ويقصدوا المعنى الفاسد

(1)سورة المنافقون، الآية:8
(2)سورة البقرة، الآية:104

منه، وهذا دليل على تجنب الألفاظ المحتملة التي فيها التعرض للتنقيص والغض، ويخرج منه فهم التعريض بالقذف وغيره(1).

ثانيا: ضابط المعرفة والعلم

إن المحاور العارف يقدر الفكرة ويحترم الرأي ويقيم الاعتبار للحقيقة، أما المحاور الجاهل فليس لهذه المقاييس عنده أي اعتبار، فالمعرفة البشرية ترتبط مباشرة بالإنسان لأنه هو الذي يمارس عملية التفكير، ومن تم كان اهتمام القرآن الكريم بسؤال المعرفة وتركيزه عليه من خلال دعوته للتفاعل الايجابي معه.

لنتأمل هذه الآيات القرآنية:

يقول الله تعالى:

- **(اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ، خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ، اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ، الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ،عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ(2).**
- **(ن، وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ(3)**
- **(وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ(4).**
- **(يَرْفَعْ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ(5)**

وكثير من الآيات القرآنية تدعو إلى العلم والمعرفة، فكلمة العلم ومشتقاتها تكررت في القرآن حوالي 855 كلمة، وما ذلك إلا تنويه وتعظيم وتكريم لهذه الميزة التي تفرد بها الإنسان بين المخلوقات جميعها(6).

---

(1)أحكام القرآن، أبو بكر ابن العربي، المجلد الأول، ص:32.
(2)سورة العلق، الآيات:1-5
(3)سورة القلم، الآية:الأولى
(4)سورة النحل، الآية:78
(5) سورة المجادلة، الآية:11

واستفهام الملائكة أمام الله تعالى في شأن خلق آدم عليه السلام كان بهدف المعرفة، التي فضل الإنسان بسببها على جميع مخلوقات الله تعالى.

وبالرجوع إلى مختلف الاستعمالات القرآنية للكلمة، تتضح وظيفة المعرفة في تحقيق الانتقال من المعلوم للوصول إلى المجهول عبر مجموعة من المقدمات التي يربط الفكر بينها ويستدل منها لإشباع نهمه في قطف الحقائق، لذلك عندما تتكامل هذه المقدمات يحصل على نتيجة تعطيه اليقين الذاتي. هذا اليقين قد يكون حقيقة عندما يتطابق مع الواقع لأن المستدل أتخذ الطرق العقلية السليمة في الاستدلال و هنا يكون يقينه سليماً معترفاً به لدى العقل وعرف العقلاء.

كما يعتبر العلم بموضوع الحوار شرطا لازما لإنجاح الحوار، بعيدا عن الجهل والجهال، والقرآن الكريم عندما يتحدث عن الجانب المعرفي عند الإنسان يمزج بين العقل والحواس، بل إنه يعطي أهمية كبيرة للحواس ويجعلها المقدمة اللازمة بين يدي العقل والفكر والتأمل(1).

والتأمل في القرآن الكريم يوصل إلى سرد بعض الآيات القرآنية، التي تعالج أهمية الحواس التي تعتبر قنوات للاتصال من حيث استقبال وإرسال المعلومات والأفكار التي تكون موضوع الحوار.

ولا يكون العلم علما إلا إذا فتحنا أبواب الأعين، والآذان، وأحللنا عقد الألسن، ونزعنا أقفال القلوب. ويعيب القرآن الكريم على أولئك الذين لا يملكون شرط العلم ولا حتى الاستعداد لسماعه أو النظر في آياته من أجل حصول الاقتناع والاطمئنان.

يقول الله تعالى:

---

(6)المعرفة الإنسانية أسسها القرآنية وآفاقها، فاروق حمادة، مجلة المناهل العدد 28، 1404 /1983، ص:222.

(1)المعرفة الإنسانية أسسها القرآنية وآفاقها، مرجع سابق، ص:223 .

- **(إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ(1)**
- **(وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ(2)**
- **(قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ(3)**
- **(إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ(4)**
- **(أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْيَ وَمَنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ(5)**
- **(وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَفَانْتَ تَهْدِي الْعُمْيَ وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ (6)**
- **(وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمْيِ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ)(7).**

وللوصول إلى اليقين والحقيقة، يجب أن يرفع علم الحوار القائم على العلم والمعرفة، المتجسد إما في الفكر السليم أو غيره.

وبرجوعنا إلى قوله تعالى: **(اقرأ باسم ربك الذي خلق..)** نجد أنه يقرر مبدئين معاً، فهي من جهة يقرر مبدأ المعرفة وليس مطلق المعرفة، إنما تلك المعرفة المقرونة باسم الله وهذا يوحي بضرورة كون المعارف والثقافة التي يتحصل عليها الفرد هادفة وبعيدة عن الترف الثقافي.

بعملية مسح شاملة للأفكار وبعض المسلمات والمواقف من الآخر ونظرتنا للواقع من حيث المثالية والواقعية وفهمنا للموروث الثقافي والنصوص الدينية المرتبطة بالعلاقات الاجتماعية ومع الفرقاء والمنافسين. وهي دعوة قرآنية إلى مراجعة الذات ومناقشة الاستحقاقات كما يقرر القرآن والروايات. ففي قوله تعالى

---

(1)سورة الأنفال، الآية:22
(2)سورة يونس، الآية:42
(3)سورة الأنبياء، الآية:45
(4)سورة النمل، الآية:82
(5)سورة الزخرف، الآية:39
(6)سورة يونس، الآية:43
(7)سورة النمل، الآية:83

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ) (1).

يتبين، إذن أن العلم شرط أساس لنجاح الحوار وتحقيق غايته، وبدونه لا ينجح حوار، ويهدر الوقت ويضيع الجهد. فيجب على المحاور ألا يناقش في موضوع لا يعرفه، ولا يدافع عن فكرة لم يقتنع بها، فإنه بذلك يسيء إلى الفكرة والقضية التي يدافع عنها، ويعرض نفسه للإحراج وعدم التقدير والاحترام.

ثالثا: فقه القول وحل عقدة اللسان

يعتبر القول الحسن وسيلة من وسائل الحوار الناجح، توجب على المسلمين أن يتخلقوا حال دعوتهم بأخلاق الإسلام، ويجتنبوا السوء من القول، ويلتزموا الحسن منه، قال الله تعالى: **(وقولوا للناس حسنا)(2)**(3). فنجاح الحوار هو تحقيق التواصل بين جميع الأطراف، وذلك من أجل الوصول إلى توافق وتفاهم، وهذا لن تقوم له قائمة إلا إذا فقه أحدهم كلام الآخر وفهمه حقيقة لا مجازا ودون تعقيد. وبوابة هذا الفقه هو أن تحل عقد اللسان وينشرح الصدر والفؤاد حتى يكون متسعا ومهيئا لقبول الآخر.

يقول الله تعالى:

- **(قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي واحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي)**(4)

---

(1)سورة ، الآية:
(2)سورة البقرة، الآية:83
(3)الحوار مع أتباع الأديان، السقار، مرجع سبق ذكره، ص:47.
(4)سورة طه، الآية:28

- **(قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِي، وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلى هَارُونَ وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِي، قَالَ كَلَّا فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ)**(1).

إن فقه القول ينبني على حل عقدة اللسان. حيث يعتبر اللسان الأداة الخالصة لإنتاج الحوار، فالكلمة يتوقف عليها مؤشر نجاح الحوار أو فشله، وإذا ما أصيبت هذه الكلمة في نواتها، ولم تحل عقدة اللسان(2)، فإن لغة العنف والقطيعة تحل محلها، وبالتالي يتحول الحوار من مراجعة الكلام لبعضه البعض إلى مواجهة وملاسنة تخرجه من إطاره السليم، فاقدا إياه استقامة اللسان وسحر الكلمة وبيانها سواء كانت منطوقة أو مكتوبة أو عبر إشارة معهودة ومفهومة.

وحل عقدة اللسان يكون إما في نطقه بالكلام الحسن، وهو ما يسمى بعبوديات اللسان، أو في حالة عجزه مع تقدير عدم الجدوائية من توظيف اللسان في الحوار، تحل محله لغة الإشارة.

1. عبوديات اللسان

إبرازا لدور اللسان في إنجاح عملية التواصل، نأخذ على سبيل المثال ما جاء في كتاب (التفسير القيم للإمام بن القيم(من إشارة واضحة لعبوديات اللسان والتي جاءت على الشكل التالي(3):

فواجبها: النطق بالشهادتين، ومستحبها تلاوة القرآن ودوام ذكر الله، ومحرمها النطق بكل ما يبغضه الله ورسوله،كالنطق بالبدع المخالفة لما بعث به الله ورسوله، والدعاء إليها وتحسينها وتقويتها، وكالقذف وسب المسلم وآذاه بكل قول

---

(1)سورة الشعراء، الآية:12

(2) أي حصول رتة وانحباس، انظر معاني البيان، أبو زكرياء بن زياد الفراء، ج/3، دار السرور بيروت، ص:178

(3) التفسير القيم للإمام ابن القيم، مرجع سابق، ص:102و103 .

والكذب وشهادة الزور، والقول على الله بلا علم وهو أشدها تحريما. ومكروهها هو التكلم بما تركه خير من الكلام به.

ومن تم كان مركز اللسان أكثر حساسية في استقامة كافة الجوارح، جاء في الموطأ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: من وقاه الله شر اثنين ولج الجنة فقال رجل يا رسول الله لا تخبرنا فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم عاد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال مثل مقالته الأولى فقال له الرجل لا تخبرنا يا رسول الله فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ذلك أيضا فقال الرجل لا تخبرنا يا رسول الله ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ذلك أيضا ثم ذهب الرجل يقول مثل مقالته الأولى فأسكته رجل إلى جنبه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من وقاه الله شر اثنين ولج الجنة ما بين لحييه وما بين رجليه،ما بين لحييه وما بين رجليه، ما بين لحييه وما بين رجليه(1).

ومن تم يصبح اللسان جزءا مهما في العملية الحوارية، باستقامته تستقيم لغة الحوار، وبانحرافه تتحول ساحة الحوار إلى حلبة للعنف والسب والشتم والاستهزاء، وبين هاتين المنزلتين، تحل لغة الإشارة المفهومة.

2. عجز اللسان ولغة الإشارة

يتحدث علم التواصل عن مجموعة من الأساليب التواصلية بين الناس، ويذكر من بينها لغة الإشارة والحركة والرمز. والقرآن الكريم نفسه أشار إلى هذا لكن بطرق وظيفية رسالية، وفي مواطن معدودة، ومناسبات محدودة، ليجعل من الإشارة استثناء لا قاعدة، يمكن الاحتماء بها حينما يصبح اللسان عاجزا عن أداء وظيفته، أو أن يكون الآخر قد أغلق نوافذه كليا عن تلقي أية كلمة.

(1) الموطأ، الإمام مالك بن أنس الطبعة الخامسة، دار الآفاق الجديدة، المغرب،1999، ص:856

وهذا ما حصل في حوار مريم عليه السلام مع قومها حينما جاءتهم تحمل وليدها عيسى عليه السلام بين يديها.

ويبسط القرآن الكريم وقائع هذا الحوار على الشكل التالي: **(فَناداهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا، وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا، فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيْنَ مِنْ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَانِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا، فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَامَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا، يَاأُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا، فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا(1)**.

فمريم عليها السلام أدركت أن قومها لن يقدروا على استيعاب ما حصل لها، وكل الشواهد الظاهرة في صالحهم، وهي نفسها تساءلت، لكن ليس كمثل تساؤلهم، لأنها كانت أدرى بنفسها؛ **(قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ**(2)، **وقوله أيضا: (قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُنْ بَغِيًّا(3)**.

لهذه الأسباب تحل لغة الإشارة محل لغة اللسان لأنها تكون أنفذ وأبلغ، وقطعا لكل جدال عقيم، فبعد أن أمرها الله تعالى أن لا تكلم أحدا في ذلك اليوم **(فَإِمَّا تَرَيْنَ مِنْ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَانِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيا)(4)**، ولكي لا تبقى منقبضة على نفسها وتتيح الفرصة للآخرين بأن يثبتوا عليها افتراءاتهم، أشارت على قومها بأن يتحدثوا إلى وليدها عيسى عليه السلام، فكان جوابهم على جهة التقرير: **(كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا(**، انطلاقا من أن الصبي لا يمكنه أن يتكلم وهو مازال في مهده، فكانت المعجزة التي بهرت القوم جميعا وجعلتهم يتراجعوا عن تهمهم وادعاءاتهم: **(قَالَ إِنِّي عَبْدُ**

---

(1) سورة مريم، الآيات:24-32
(2) سورة آل عمران، الآية:47
(3) سورة مريم، الآية:20
(4) سورة مريم، الآية:

اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا، ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ(1).

وحديثنا هنا عن الإشارة، الواضحة معالمها، فبمجرد إرسالها يتلقاها الآخر بالقبول والإيجاب، لكن حينما يكتنفها الغموض تصبح عديمة الجدوى والفائدة، ويتحول معها الحوار إلى جدال الصم والبكم. وقد نستغني عن الإشارة المفهومة، ونتحاور باللسان والكلمة، لكن بلغة مثقلة بالغموض ومفعمة بالتراكيب الهلامية القريبة للألغاز، وهذا من أكبر المعيقات للحوار.

رابعا: انشراح الصدر

معنى انشراح الصدر هو اتساعه وانبساطه وانفتاحه على الآخرين الذين ينطلقون من مواقع مختلفة فالكلمة- إن أريد لها أن تكون طيبة وحسنة ومثمرة- تحتاج إلى انشراح الصدر وسعته لكي يكون المحاور مهيئا لقبول الآخر كيفما كان منطقه وموقفه وقوله، وهذا ما طلبه نبي الله موسى عليه السلام من ربه لما طلب منه أن يذهب إلى فرعون لدعوته ومحاورته:

يقول الله تعالى:

- **(قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي، ويَسِّرْ لِي أَمْرِي واحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي)(2).**

- **(قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِي، ويَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إلى هَارُونَ، ولَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِي،قَالَ كَلَّا فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ)(3).**

---

(1) سورة مريم، الآية:33333333

(2) سورة طه، الآية:28

وذلك لكي يتحمل رد فرعون الذي لن يكون إلا استكبارا وعنادا واستهزاء، وربما توقيع الأذى والظلم.

ومن تم، يغدو ضيق الصدر وعدم انبساطه عائقا في إنجاح الحوار والجدال، ولما كان أسلوب جميع الأنبياء والرسل في تبليغ دعواتهم هو محاورة الآخرين وإقناعهم، كان لزاما أن يشرح الله صدورهم لتصبح فسيحة واسعة لتتقبل هؤلاء المدعووين بكل أشكالهم وألوانهم.

وطريقة النبي صلى الله عليه وسلم في الحوار أنه كان يحترم الآخر وينزله المنزلة التي يستحق، ويتكلم معه بأدب كبير ويتفهم وجهات نظره بهدوء ودون تعصب، وهذا كله من بركة انشراح الله تعالى لصدره، **(أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ)(1)**.

والحديث عن قيمة انشراح الصدر ودوره في تبليغ الكلمة والدفاع عنها عن طريق الحوار الذي يستلزم قبول الآخر، نجد القرآن الكريم يذكر ما يلي: **(أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ فهو على نُورٍ مِنْ رَبِّهِ(2)**.

وقوله أيضا: **(فَمَنْ يُرِدْ اللَّهُ أَنْ يَهدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ(3)**. فاتساع وانشراح الصدر يكون بهدف أن نلقي السمع لوجهة نظر الخصم مهما كانت وجهة نظره مرفوضة أو مقبولة، سامية أو منحطة، لأننا بذلك نضمن أن يستمع خصمنا ويتسع صدره لوجهة نظرنا، بدل أن يضيق الصدر ويعجز اللسان عن البيان تاركا المجال لأشكال غريبة عن لغة التسامح والاستيعاب والتعاون.

---

(3) سورة الشعراء، الآية:12
(1)سورة الضحى، الآية الأولى
(2)سورة الزمر، الآية:22
(3)سورة الأنعام، الآية:125

المبحث الثاني: الفصل بين شخص المحاور وموضوع الحوار

يعتبر الفصل بين شخص المحاور وموضوع الحوار من أبرز الضوابط المهمة في الحوار، وقد سجل القرآن الكريم حوار الله تعالى مع إبليس، وهو يقدم صورة واضحة عن هذا الضابط الذي يلزم وجوده في كل الحوارات.

لقد استجاب الله تعالى لطلب النظارة لفائدة إبليس لأنه متعلق بشخصه ولا علاقة له بجوهر القضية المطروحة في ميزان الحوار، في حين امتنع إبليس عن تلبية واستجابة لطلب تعالى، وهذا يرسل إشارة واضحة مفادها؛ أن الحوار الذي دار بينهما كان يصب في أفق تصحيح وتصويب خلل وقع من جهة مفروض فيها الطاعة والامتثال المطلقة لأوامر الله تعالى، إذن فالقضية كانت موضوعية وعامة تنظر إلى المستقبل وليست مرتبطة بذات مخلوق معين. لكن لما طلب إبليس من ربه النظارة استجاب إليه سبحانه وتعالى، على اعتبار أن الاستجابة إليه أو عدمها لا تخدم القضية الجوهرية التي من أجلها فتح باب الحوار، فهي منفصلة تماما عن سبب عدم سجوده لآدم. كما أنها تدفع بشكل مباشر في تقريب المتحاورين.

هذا الحوار كان يدفع في اتجاه الرفض من أجل الرفض وليس من أجل البحث في دروب الحقيقة والتمسك بها، فتصرف إبليس مع الله عز وجل لم يكن طرحا لرأي مغاير ووجهة نظر تحتمل الصواب والخطأ، وإنما كان اعتراض من أجل التشكيك في طبيعة الخلق وفي صنع الله تعالى الذي أتقن كل شيء، وبذلك لم يكن رأي إبليس صادر عن اعتراض تتمخض منه المعرفة.. بل هو صادر عن اعتراض يتولد منه الرفض.. وهو ما جعله على رأس قائمة اللعن واللاعنين. فهي تلخص "أصول الجهل والغباوة التي أوقع إبليس فيها حسده لآدم واستكباره عن طاعة الله بالسجود له. وأنت ترى أن أولياءه ونظراءه من شياطين الإنس مرتكسون فيها كلها والعياذ بالله تعالى، قال قتادة: حسد عدو الله إبليس آدم على

ما أعطاه الله من الكرامة وقال: أنا ناري وهذا طيني، فكان بدء الذنوب الكبر، واستكبر عدو الله أن يسجد لآدم فأهلكه الله بكبره وحسده"(1).

ولبيان هذا الضابط، نحتاج إلى مجموعة من الضوابط الفرعية، نذكر أبرزها:

أولا: الاعتراف بالآخر واحترامه

من القول الحسن حسن المناداة للطرف الآخر، واختيار أحب الأسماء إليه، وقد تأدب الأنبياء بهذا الأدب في خطابهم لأقوامهم، فقد كان يقول الرسول لخصومه المعاندين) :يا قوم (في تودد وسماحة وتذكير بالروابط التي تجمعهم، ليستثير مشاعرهم، ويطمئنهم فيما يدعوهم إليه.

إن اعتراف شخص المحاور بالآخر ضروري في استمرار الحوار، من حيث المناداة عليه بأحب الأسماء إليه (يا إبليس) ثم العمل على البحث عن نقط الالتقاء والتأكيد عليها عوض النبش في نقط الاختلاف واستحضارها والوقوف عندها.

لنتأمل هذا القول **(قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي)** فهو جاء بعد مرحلة تحقيق نوع من التجاوب والتقارب حينما استجاب الله لطلب إبليس في النظارة، وهي نقطة كان على إبليس أن يوظفها لصالحه لكي يستمر الحوار، وهذا شرف له، لكنه مع الأسف عاد إلى ذكر السابق من مراحل الحوار ليستحضره في محطة أصبحت متقدمة في الحوار ومشجعة لاستمراره، وبذلك شكل هذا الأمر أحد أسباب توقيف الحوار.

سجل القرآن الكريم هذا الحوار بكل تفاصيله، وجعله الله تعالى جعله آيات تتلى إلى يوم القيامة ويتعبد بتلاوتها، حوار بين طرفين مختلفين، بل إن أحدهما مخلوق للآخر وعبد له، فالله تعالى يمثل الحق والخير المطلقين والشيطان زعيم الباطل والشر والعصيان، وهذا يفهم من خلاله دعوته تعالى إلى الحوار

(1) تفسير القرآن الحكيم 295/8.

كأسلوب لإقامة الحجة والبرهان حتى ولو كان الطرف المحاور يمثل النقيض لفلسفة الآخر.

وحوار الله مع إبليس هو الثاني من نوعه الذي يقيمه الحق سبحانه بعد تحاوره مع ملائكته في شأن خلق آدم وجعله خليفته في الأرض، وإذا كان من مقتضيات الحوار الناجح هو الاعتراف المتبادل بين طرفيه، فإن القرآن الكريم حفظ لنا كلام إبليس الذي يشكل قمة في التجرؤ والتمرد على خالقه سبحانه وتعالى، في المقابل نجد الله عز وجل يرد عليه وينقض كلامه بطريقة هادئة، فضلا عن استجابته لبعض طلباته.

وتحدث القرآن الكريم عن هذا الحوار في أكثر من سورة من سور القرآن الكريم.

يقول الله تعالى:

- **(ثمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إبليس لَمْ يَكُنْ مِنْ السَّاجِدِينَ، قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إذ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ، قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنْ الصَّاغِرِينَ، قَالَ أَنظِرْنِي إلى يَوْمِ يُبْعَثُونَ، قَالَ إِنَّكَ مِنْ الْمُنظَرِينَ، قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيم، ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أكثرهُمْ شَاكِرِينَ، قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَدْحُورًا لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ)**(1)

- **(فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُم أَجْمَعُونَ، إِلَّا إبليس أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ، قَالَ يَا إبليس مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ، قَالَ لَمْ أَكُنْ لِأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ، قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ، وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إلى يَوْمِ الدين، قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إلى يَوْمِ يُبْعَثُونَ، قَالَ فَإِنَّكَ مِنْ الْمُنْظَرِينَ، إلى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأرض وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ**

(1)سورة الأعراف، الآيات: 10-17

أَجْمَعِينَ، إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلَصِينَ،قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ، إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنْ الْغَاوِينَ، وإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ)(1)

- **(قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إبليس قَالَ ءأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِي إلى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا قَالَ اذْهَبْ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا)**(2).

- **(إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ، فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ، فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ إِلَّا إبليس اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنْ الْكَافِرِينَ قَالَ يَا إبليس مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنْ الْعَالِينَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ، قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ، وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إلى يَوْمِ الدِينِ، قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إلى يَوْمِ يُبْعَثُونَ قَالَ فَإِنَّكَ مِنْ الْمُنظَرِينَ إلى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلَصِينَ قَالَ فَالْحَقّ وَالْحَقّ أَقُولُ، لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ)**(3).

من هذه الآيات تتضح بعض معالم المنهج القرآني في إدارة حوار إيجابي يحترم الآخر ويعترف به دون إرغامه على قبول ما نعتقده نحن صوابا، رغم التعصب المذموم الذي أبان عنه، فلا أحد يعلو عن الحوار، وإذا كان الله عز وجل يدخل مع عباده الضعفاء ـ الذين لا قيمة لهم ولا وجود لهم إلا بفضله ورحمته ـ في حوارات يجيب على إشكالاتهم وتساؤلاتهم؛ فهل يحق لأحد بعد ذلك أن يترفع

(1)سورة الحجر، الآيات:30-43
(2)سورة الإسراء، الآيات:61-63
(3)سورة ص، الآيات:70-83

عن الحوار والجدال بدعوى الأفضلية التي يحوزها أو السبق في إحراز المعرفة وغيرها.

ثانيا: احترام الآخر (الخلاف الزوجي أنموذجا)

إن الأصل في منظور الإسلام في موضوع الأسرة؛ هو أن يسود الحوار داخلها، وأن يتم التساكن بين أفراد الأسرة، وأن يتعايشوا في أمن وسلام، وذلك على أسس المودة والرحمة بين جميع أفراد الأسرة، وبدرجة أكبر بين الزوجين، ويكفي شرفا لهذين الزوجين، أن الله تعالى جعل قدوتهم آدم وزوجه، لما خاطبهم الله تعالى في الجنة: "**وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين**"(1).

إن المقتضى الذي تقوم عليه الحياة الزوجية هو السكن والحياة الرغيدة التي لا كدر فيها ولا غصة. لكن إذا ما وقع شيء من الأحداث التي تعكر صفو هذا السكن والطمأنينة، ويفتح باب التفكير في الطلاق، أو التطليق، فإن الاسلام نفسه جعل لذلك احتياطات وإجراءات لرأب الصدع وإزالة الشقاق والخلاف بين الزوجين. حتى تسترجع هذه الأسرة عافيتها ومودتها.

وقبل التطرق إلى أهمية الحوار في موضوع الشقاق الذي يمكن أن يحدث بين الزوجين، يذكر القرآن الكريم ببعض مواطن الحياة الزوجية، من قبيل ما يقوله الله تعالى: **(يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا)**(2)، وقوله تعالى: **(يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُومِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُوذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا)**(3).

---

(1)سورة البقرة، الآية:34

(2)سورة الأحزاب، الآية:28

(3)سورة الأحزاب، الآية:59

هذه بعض الآيات القرآنية التي تلمح لوجود حوار في الفضاء الأسري بين الأزواج، حوار قائم على المودة والرحمة والتشاور وعدم الإكراه. حتى في الحالات التي يصعب فيها إدارة الخلاف بين الأزواج، نجد القرآن يقدم الوصفات التالية:

يقول الله تعالى: **(وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا)**(1).

وقد فسر بعضهم خوف النشوز بتوقعه فقط، وبعضهم بالعلم به، ولماذا لم يقل: واللاتي ينشزن؟ يقول الشيخ محمد رشيد رضا: لا جرم أن في تعبير القرآن حكمة لطيفة، وهي أن الله تعالى لما كان يحب أن تكون المعيشة بين الزوجين معيشة محبة ومودة وتراض والتئام لم يشأ أن يسند النشوز إلى النساء إسنادا يدل على أن من شأنه أن يقع منهن فعلا، بل عبر عن ذلك بعبارة تومئ إلى أن من شأنه ألا يقع؛ لأنه خروج عن الأصل الذي يقوم به نظام الفطرة، وتطيب به المعيشة، ففي هذا التعبير تنبيه لطيف إلى مكانة المرأة، وما هو الأولى في شأنها، وإلى ما يجب على الرجل من السياسة لها وحسن التلطف في معاملتها، حتى إذا آنس منها ما يخشى أن يؤول إلى الترفع وعدم القيام بحقوق الزوجية، فعليه أولا أن يبدأ بالوعظ الذي يرى أنه يؤثر في نفسها، والوعظ يختلف باختلاف حال المرأة، فمنهن من يؤثر في نفسها التخويف من الله عز وجل وعقابه على النشوز، ومنهن من يؤثر في نفسها التهديد والتحذير من سوء العاقبة في الدنيا، كشماتة الأعداء والمنع من بعض الرغائب كالثياب الحسنة والحلي، والرجل العاقل لا يخفى عليه الوعظ الذي يؤثر في قلب أمرأته، وأما الهجر :فهو ضرب من ضروب التأديب لمن تحب زوجها ويشق عليها هجره

(1)سورة النساء، الآية:34

إياها، وذهب بعض المفسرين، ومنهم ابن جرير الطبري، أن المرأة التي تنشز لا تبالي بهجر زوجها بمعنى إعراضه عنها(1)

هذا في حق الرجل إذا خاف النشوز من زوجته، يجب عليه، في أول خطوة له، أن يرفع راية الحوار وان يتسلح بسلاح الكلمة النافذة المؤثرة، قبل أن يضطر إلى اللجوء إلى الوسائل الأخرى .

لكن إن كانت الزوجة تشكو من نشوز زوجها، فالقرآن يقول: **(وَإِنْ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ اعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أن يصالحا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتْ الْأَنفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا)**(2).

وإصلاح نشوز وإعراض الزوج لا يكون إلا عبر بوابة الحوار الذي يفتح القلوب والعقول للتقارب بينهما، فطرح الرأي والبدء في تحليله والسماع إلى الآخر فقد يكشف عن حقيقة ما كان احدهما يجهل، وقد يؤدي الحوار إلى تنازل احدهما عن بعض مواقفه من اجل أن تبقى راية الأسرة منتصبة.

وبذلك يكون الحوار من الوسائل الايجابية في حل الكثير من المشاكل التي تقع بين الأزواج، فضلا عن تقديم النموذج الصالح لفائدة الأبناء الذين يتأثرون بمحيط آبائهم.

وإن خفتم شقاق بينهما: يقول صاحب التحرير والتنوير: وهذا حكم أحوال أخرى تعرض بين الزوجين، وهي أحوال الشقاق من مخاصمة ومغاضبة وعصيان (3).

(1) تفسير القرآن الحكيم/المنار 59/5.
(2) سورة النساء، الآية:127
(3) التحرير والتنوير، 44/5

ثالثا: تجنب الإعجاب بالنفس

الإعجاب بالنفس أحد أسباب فشل الحوار، وهذا ما يتضح من خلال تصرف إبليس الذي حول المشكلة التي من أجلها نصبت راية الحوار، إلى الحديث عن إبراز الذات وتمجيدها والافتخار بها، (قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ"، وحينما قال الله تعالى له "ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك": "أي قال تعالى له: ما منعك من امتثال الأمر فحملك على ألا تسجد لآدم مع الساجدين في الوقت الذي أمرتك فيه بالسجود؟ واستدل علماء الأصول بهذا على أن الأمر يقتضي الوجوب على الفور،) قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين (أي منعني من ذلك أنني أنا خير منه؛ لأنك خلقتني من نار وخلقته من طين، والنار خير من الطين وأشرف، ولا ينبغي للأشرف أن يكرم من دونه ويعظمه، أي وإن أمره بذلك ربه، وهذا الجواب يتضمن ضروبا من الجهل الفاضح، ما أوقع اللعين فيها إلا حسده وكبره فإنهما يعميان البصائر"(1).

ويمكن استدعاء قصة نبي الله ابراهيم عليه السلام وحواره لكشف الحقيقة واقتناعه بها أولا قبل بدء حواره مع قومه، حتى لا يعجب المرء برأيه وموقفه، ويصبح هذا العجاب حائلا دون الوصول الى الحقيقة.

يقول الله تعالى: **(وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنْ الْمُوقِنِينَ، فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ، فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنْ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ، فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُفَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَاقَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ، إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِي لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنْ الْمُشْرِكِينَ)**(2).

---

(1) تفسير القرآن الحكيم 293/8.

(2)سورة الأنعام الآيات:76-80

وقد وقف المفسرون عند هذه القصة المفعمة بالاستنتاجات والخلاصات المهمة، ومن جملة ما تدارسوه، هو طرحهم لهذا التساؤل: هل المقام الذي وقف فيه نبي الله إبراهيم كان مقام نظر أو مناظرة؟ ومن بين من أجاب عن هذا السؤال، الدكتور محمد تقي الذين الهلالي(1) حيث قال: الحق أن إبراهيم عليه الصلاة والسلام كان مناظرا لقومه مبينا لهم بطلان ما كانوا عليه من عبادة الهياكل والأصنام...ومعنى مناظرا لا ناظرا، انه لم يكن في أول أمره يعتقد أن الشمس ربه، ثم انتقل من ذلك إلى توحيد الله تعالى والبراءة من معبودات قومه، لأن الله حفظ أولياءه ورسله من الشرك والمعاصي قبل النبوة، وهيأهم لها، فقوله لما رأى النجم قال: هذا ربي، أي بزعمكم أيها المشركون، فإن كان ما تدعون حقا فانه سيثبت ولا يزول، فلما غاب انتقل إلى طالع أخر أقوى منه ليستدرجهم إلى توحيد الله تعالى.

وموقف آخر وقف فيه نبي الله إبراهيم، وجسد حوارا مع الذات والنفس في تدبير أمر وتبييته بالمعنى الإيجابي؛ **(وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ)**(2)؛

فلما رأى الاستعلاء من قومه، وأن الحجج التي قدمها لحد الساعة لم تفعل فعلها فيهم، بقي أمامه سوى أن يتحاور مع نفسه ويتشاور معها في حل، من شأنه أن يدفع القوم بقوة إلى مراجعة موقفهم والتخلص من عنادهم. وتأكد ذلك، حينما فوجئ القوم بتكسير الأصنام والأوثان إلا كبيرا لهم، **(فَرَجَعُوا إِلَى أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمْ الظَّالِمُونَ)**(3).

إتياننا بقصة إبراهيم عليه السلام في هذا السياق هو من أجل أن يعضد مسألة الحوار الذاتي الذي ينبغي أن يقيمه كل فرد من أفراد المجتمع في تسلقه لمدارج

---

(1)سبيل الرشاد في هدي خير العباد، محمد تقي الذين الهلالي،ج/1، مكتبة المعارف الرباط ص:.177

(2)سورة الأنبياء، الآية:57

(3)سورة الأنبياء، الآية:64

المعرفة والحقيقة، وإن كان البعض يرى أن حوار إبراهيم عليه السلام مع ذاته ونفسه لم يكن كذلك بقدر ما كان تهييئا لمناظرة قومه بتفنيد حججهم وأدلتهم التي يتمسكون بها.

رابعا: إرادة الإصلاح ما بين المختلفين

تعتبر إرادة الإصلاح بين المختلفين وتضييق الهوة بينهما من ضوابط الحوار، حيث إن إدارة الحوار تهدف إلى تحقيق النتيجة المرجوة؛ وحتى في الحالة التي يعجز فيها الزوجان أو أحدهما عن تضييق هوة الخلاف بينهما، يمكن اللجوء إلى صوت الحكمة في الذي يتوسم منه الخير والإصلاح، فقبل أن يستفحل الشقاق وتتعمق فجوته، أباح الإسلام في الاستعانة بحكمين أحدهما من أهل الزوجة والآخر من أهل الزوج؛ ليكونا أحرص على التوفيق، وأقدر على معرفة الدخائل، ونبه الحكمين إلى أن يُخلصا في الرغبة في بقاء العلاقة الزوجية؛ ليهيئ الله لهما أسباب الصفاء؛ قال تعالى: **(وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا)**(1).

وقد ورد التعبير عن إرادة الإصلاح في قوله تعالى: **(إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا)**(2). إن يريدا إصلاحا الظاهر أنه عائد إلى الحكمين لأنهما المسوق لهما الكلام، واقتصر على إرادة الإصلاح لأنها التي يجب أن تكون المقصد لولاة الأمور والحكمين، فواجب الحكمين أن ينظرا في أمر الزوجين نظرا منبعثا عن نية الإصلاح، فإن تيسر الإصلاح فذلك، وإلا صارا إلى التفريق، وقد وعدهما الله بأن يوفق بينهما إذا نويا الإصلاح، ومعنى التوفيق بينهما إرشادهما إلى مصادفة الحق والواقع، فإن الاتفاق أطمن لهما في

(1)سورة النساء، الآية:35
(2)سورة النساء، الآية:35

حكمهما بخلاف الاختلاف، وليس في الآية ما يدل على أن الله قصر الحكمين على إرادة الإصلاح حتى يكون سندا لتأويل أبي حنيفة أن الحكمين رسولان للإصلاح لا للتفريق، لأن الله تعالى ما زاد على أن أخبر بأن نية الإصلاح تكون سببا في التوفيق بينهما في حكمهما، ولو فهم أحد غير هذا المعنى لكان متطوحا عن مفاد التركيب(1)..

ويذكر صاحب الفتح القدير، حديث يعقوب بن إبراهيم قال حدثنا ابن علية عن أيوب عن محمد عن عبيدة قال جاء رجل وامرأته بينهما شقاق إلى علي رضي الله عنه مع كل واحد منهما فئام من الناس فقال علي رضي الله عنه ابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها ثم قال للحكمين تدريان ما عليكما؟ عليكما إن رأيتما أن تجمعا أن تجمعا وإن رأيتما أن تفرقا أن تفرقا قالت المرأة رضيت بكتاب الله بما علي فيه ولي قال الرجل أما الفرقة فلا فقال علي رضي الله عنه كذبت والله لا تنقلب حتى تقر بمثل الذي أقرت به(2).

كما إنه يلجأ إلى هذه الوسيلة الأخيرة ، عند خوف الشقاق ، فيبادر قبل وقوع الشقاق فعلًا.. ببعث حكم من أهلها ترتضيه، وحكم من أهله يرتضيه. يجتمعان في هدوء. بعيدين عن الانفعالات النفسية، والرواسب الشعورية، والملابسات المعيشية، التي كدرت صفو العلاقات بين الزوجين(3).

ويقوم ضابط إرادة الإصلاح بدور المساعي الحميدة، مع توفر حسن النية في الإصلاح، لإذابة جليد الشقاق بين المختلفين، مع حفظ الأسرار والخصوصيات لكل طرف. وهذا الموضوع يحتاج إلى يقظة كبيرة في أن لا يتم إقحام أي شخص ليست له دراية في إدارة الحوار، ولا يتوفر على حسن النية، والقصد

---

(1) التحرير والتنوير، 47/5.
(2) فتح القدير، 1/ 464.
(3) في ظلال القرآن، 656/2.

النبيل. لأنه في كثير من الأحيان يكون موضوع الخلاف بسيطا، ويحتاج إلى كلمة سواء واحدة، لكن بتعدد المتدخلين والوسطاء، يتعقد الموضوع، وعلى هذا الأساس، سمى القرآن هذا المتدخل بالحَكَم، لتوفره على نصيب من اسم الحكم، وهو العدل والقسط وعدم التجاوز، وإعطاء الأشياء ما تستحقه دون تهوين ولا تهويل.

فهرس الآيات القرآنية

	الآية	السورة
	وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ..	لقمان، الآية:26
	لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ	آل عمران، الآية:181
	لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ	المائدة، الآية:75
	وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ	الكهف الآيات:32-36
	قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ	المجادلة الآية الأولى
	إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ	الانشقاق الآية
	وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ	سبأ، الآية:31
	قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى	سبأ، الآية: 46
	الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ	البقرة، الآية:196
	وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ	النساء، الآية:106
	يَوْمَ تَاتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا	النحل، الآية:111
	ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي	النحل، الآية:125
	وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ	الرعد، الآية:14
	الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ	غافر، الآية:35
	إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ	غافر، الآية:55
	أَلَمْ تَرَى إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ	غافر، الآية:69
	وَيَعْلَمَ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا مَا لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ	الشورى، الآية:32
	وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أحسن	العنكبوت، الآية:46
	وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا القرآن لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ	الكهف، الآية:53
	وَقَالُوا أَآلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا	الزخرف، الآية:58
	هَاأَنْتُمْ هَؤُلَاءِ جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَادِلُ .	النساء، الآية:108
	قَالُوا يَانُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا	هود، الآية:32
	وَإِنْ جَادَلُوكَ فَقُلْ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ	الحج، الآية:66
	قالوا يا نوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا	
	"قَالُوا يَانُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا "	هود، الآية:32
	قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ	الكهف، الآيات:32-36
	قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا	المجادلة، الآية الأولى
	إلا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا	البقرة، الآية:ننن
	وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا	النساء، الآية:5
	فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا	النساء، الآية:9
	يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا	الأحزاب، الآية:70
	فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَيْسُورًا	الإسراء، الآية: 28
	وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا	البقرة، الآية:83
	إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا	الإسراء، الآية:40
	فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا	الإسراء، الآية:23
	وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا .	النساء/ الآية:63
	فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أو يَخْشَى	طه، الآية:44
	أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرةٍ طَيِّبَةٍ	إبراهيم، الآية:24
	إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ	فاطر، الآية:10

	الرَّحْمَانُ عَلَّمَ القرآن خَلَقَ الانسان عَلَّمَهُ الْبَيَانَ	الرحمن، الآيات1-4
	وَعَلَّمَ آدم الاسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ	البقرة، الآية:31
	اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الانسان	العلق الآيات 1-5
	فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ	آل عمران، الآية:39
	إِذْ قَالَتْ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ	آل عمران، الآية:45
	فَتَلَقَّى آدم مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ	البقرة، الآية:37
	قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدادا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ ادًا	الكهف، الآية:109
	وَلَوْ أَنَّمَا فِي الارْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ	لقمان، الآية:27
	وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ	التحريم، الآية:12
	وَمَنْ أحسن قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إلى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا	فصلت، الآية:33
	وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أحسن إِنَّ الشَّيْطَانَ	الإسراء، الآية:53
	عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ	
	وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْارْضَ لَيَقُولُنَّ	الزخرف، الآية:8
	وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُوفَكُونَ	الزخرف، الآية:87
	وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهداءَ	البقرة، الآية:142
	وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ	الإسراء، الآية:70
	لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ	المائدة، الآية:50
	وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافس الْمُتَنَافِسُون	المطففين، الآية:26
	قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ،	
	قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرُ مَنْ مَعِيَ وَذِكْرُ مَنْ قَبْلِي ،	
	قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ،	
	أإله مع الله قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين ،	
	قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ	يونس، الآيتان:31-32.
	وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَاتونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ،	
	أَتَاتُونَ الذُّكْرَانَ مِنْ الْعَالَمِينَ، وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ	الشعراء، الآيات:165-168
	قَالَ يَاقَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ	هود، الآية:77
	قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ	هود، الآية:78
	فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا	هود، الآية:81
	وفي الأرض آيات للموقنين وفي أنفسكم أفلا تبصرون	
	وقالوا مال هذا الرسول ياكل الطعام ويمشي	
	وما قدروا الله حق قدره إذ قالوا ما أنزل الله على	
	يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاء"	النساء، الآية:153
	"الر تلك آيات الكتاب المبين إنا أنزلناه قرآنا عربيا	
	وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا	الأحزاب، الآية:36
	يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ	الحجرات، الآية:1
	وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ	التوبة، الآية:65
	تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ	البقرة، الآية:134
	ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس فلمسوه بأيديهم	
	المر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَالَّذِي أنزِلَ إِلَيْكَ	الرعد، الآية الأولى
	هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ	الصف، الآية:9
	وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ	المائدة، الآية:48
	كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ	البقرة، الآية:213
	إلى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ	، الآية:17
	كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ	الرعد، الآية:17
	وَنَزَعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُم	القصص، الآية:75

	يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا	الأنفال، الآية:6
	يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ	آل عمران، الآية:71
	قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ	المائدة، الآية:77
	يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُومِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ آمَنُوا	الشورى، الآية:18
	كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالاحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ	غافر، الآية:5
	وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ الا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَيُجَادِلُ	الكهف، الآية:56
	وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ	الزخرف، الآية:
	يَاأَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ	
	اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا	
	وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ الا الظَّنَّ وَإِنَّ	النجم، الآية
	وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ	محمد، الآية:2
	سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الافَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ ل	فصلت، الآية
	وَالَّذِي أَوحَيْنَا إِلَيْكَ مِنْ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ	فاطر، الآية:31
	وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ	سبأ، الآية:6
	ذَلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ	الأحزاب، الآية:4
	ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ	
	يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمْ اللَّهُ دِينَهُمْ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ	النور، الآية:25
	وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتْ السَّمَاوَاتُ	المومنون، الآية:71
	فَتعالى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالقرآن مِنْ قَبْلِ	طه، الآية:114
	وَقُلْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ	الكهف، الآية:29
	قُلْ يَاأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ	يونس، الآية:108
	فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلْ	يونس، الآية:94
	حَقِيقٌ عَلَى أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ الا الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُمْ	الأعراف، الآية:105
	قُلْ إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَكَذَّبْتُمْ بِهِ مَا عِنْدِي	الأنعام، الآية:57
	وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ	المائدة، الآية:83
	مِنْ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ	النساء، الآية:46
	أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ	البقرة، الآية:257
	شَهِدَ اللَّهُ انهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ	آل عمران، الآية:18
	مِّنْ أهل الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللهِ	آل عمران، الآية:113
	فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا	آل عمران الآيتان 55-56
	مَنْ إن تَامَنْهُ بِقِنطَارٍ يودِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ	آل عمران، الآية:74
	يَاأهل الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ و	آل عمران، الآيتان:64-65
	وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ أهل الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ	آل عمران، الآية:68
	وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أهل الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ	البقرة، الآية:108
	يَا أهل الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَانتُمْ	آل عمران، الآيتان:69-70
	يَا أهل الْكِتَابِ قَدْ جَاءكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا	المائدة، الآيتان:16-17
	أَلَمْ تَرَى إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنْ الْكِتَابِ	آل عمران، الآيتان:23-24
	وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أهل الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي انزلَ	آل عمران، الآيتان:71-72
	وَان مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ لِتَحْسبُوهُ	
	وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ	العنكبوت، الآية:16
	قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ	هود، الآية:84
	وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُوذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ	التوبة، الآية:61
	يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ	المنافقون، الآية:8
	يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا	البقرة، الآية:104

	اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ، خَلَقَ الْإِنسَانَ	العلق، الآيات:1-5
	وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ	النحل، الآية:78
	ن، وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ	القلم، الآية:الأولى
	يَرْفَعْ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ	المجادلة، الآية:11
	إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ	الأنفال، الآية:22
	وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ	يونس، الآية:42
	قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ	الأنبياء، الآية:45
	إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ	النمل، الآية:82
	أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْيَ وَمَنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ	الزخرف، الآية:39
	وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ أفانْتَ تَهْدِي الْعُمْيَ	يونس، الآية:43
	وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمْيِ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تُسْمِعُ	النمل، الآية:83
	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ	
	قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي	طه، الآية:28
	قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِي، وَيَضِيقُ	الشعراء، الآية:12
	فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا،	مريم، الآيات:24-32
	قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ	آل عمران، الآية:47
	قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُنْ بَغِيًّا	مريم، الآية:20
	فَإِمَّا تَرَيْنَ مِنْ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ	مريم، الآية3333
	قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا وَجَعَلَنِي	مريم، الآية
	قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي، ويَسِّرْ لِي أَمْرِي	طه، الآية:
	قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِي، ويَضِيقُ صَدْرِي	الشعراء، الآية:12
	أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ	الضحى، الآية الأولى
	أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ فهو على نُورٍ مِنْ رَبِّهِ	الزمر، الآية:22
	فَمَنْ يُرِدْ اللَّهُ أَنْ يَهدِيَه يُشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ	الأنعام، الآية:125
	ثمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إبليس لَمْ يَكُنْ	الأعراف، الآيات: 10-17
	فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُم أَجْمَعُونَ، إِلَّا إبليس أَبَى	الحجر، الآيات:43-30
	قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إبليس قَالَ	الإسراء، الآيات:61-63
	إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ، فَإِذَا	ص، الآيات:70-83
	وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا "	البقرة، الآية:34
	يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ	الأحزاب، الآية:59
	وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ	النساء، الآية:34
	وَإِنْ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ اعْرَاضًا	النساء، الآية:127
	وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ	الأنعام الآيات:76-80
	وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ	الأنبياء، الآية:57
	فَرَجَعُوا إِلَى أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمْ الظَّالِمُونَ	الأنبياء، الآية:64
	وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ	النساء، الآية:35

لائحة المراجع

- القرآن الكريم، رواية ورش
- (ترتيب أبجدي)
- أحكام القرآن، ابن العربي، المجلد الأول، ص40و41
- إحياء علوم الدين، الغزالي، 114/3
- أصول الحوار وآدابه في الإسلام، صالح بن عبد الله بن حميد، دار المنارة للنشر والتوزيع، جدة ـ مكة، 1415هـ /1994م.
- الأصول والضوابط، النووي أبو زكريا ، تحقيق: محمد حسن هيتو، ط/1، دار البشائر الإسلامية ـ بيروت، 1406.
- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين الشنقيطي، الجزء الأول، 1403هـ 1983م.
- الأنبياء في القرآن، سعد صادق محمد، الطبعة الأولى دار اللواء للنشر والتوزيع1982.
- بداية المجتهد ونهاية المقتصد، ابن رشد القرطبي، المكتب الثقافي السعودي بالمغرب، 1447هـ .
- التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد)، ابن عاشور، محمد الطاهر، الدار التونسية للنشر ـ تونس 1984م.

- تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، محمد رشيد رضا، نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب 1990.
- التفسير القيم لابن للإمام بن القيم، جمعه أوس الندوي، تحقيق محمد حامد الفقي، دار الكتب العلمية بيروت
- تفسير بن كثير، دار الخير، ط1 /1992
- تهذيب اللغة، الأزهري، تحقيق أحمد عبد الرحمان مخيمر، دار الكتب العلمية بيروت
- حكاية المناظرة في القرآن مع بعض أهل البدعة، ابن قدامة المقدسي، تحقيق عبد الله يوسف الجديع، نشر مكتبة الرشد - الرياض ط/1، 1409 .
- الحوار في الإسلام والتفاعل الحضاري مع الآخر، عوض أحمد عبده، الطبعة الأولى مركز الكتاب للنشر، القاهرة، 2014.
- الحوار في القرآن، محمد حسين فضل الله، الطبعة الأولى الدار الإسلامية ،1399- 1979،
- الحوار مع أتباع الأديان - مشروعيته وآدابه، منقذ بن محمود السقار، رابطة العالم الإسلامي،
- سبيل الرشاد في هدي خير العباد، محمد تقي الذين الهلالي، مكتبة المعارف الرباط .
- فتح القدير، محمد بن علي الشوكاني، المجلد الأول دار الفكر للطباعة والنشر، 1981/1401.

- في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، طه عبد الرحمان، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء 2000.
- في ظلال القرآن، سيد قطب ، دار الشروق، الطبعة التاسعة 1980.
- في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، الطبعة الثالثة عشر، المجلد الثاني، 1407هـ 1987م.
- القرآن ونقض مطاعن الرهبان، صلاح عبد الفتاح الخالدي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، هـ 1437هـ /2016م.
- الكشاف، الزمخشري، دار الكتاب العربي ترتيب وضبط مصطفى أحمد، الطبعة الثالثة1447هـ ، 1987.
- لسان العرب، ابن منظور ط1، دار صادر، بيروت.
- مباحث في علوم القرآن، مناع القطان، الطبعة الثامنة، مكتبة المعارف الرياض
- مختارات من خطبه وكلماته، عبد الهادي بوطالب- منشورات ايسيسكو1992
- معاني البيان، أبو زكرياء بن زياد الفراء، دار السرور بيروت.
- المعرفة الإنسانية أسسها القرآنية وآفاقها، فاروق حمادة، مجلة المناهل، العدد،28، 1983/1404 .
- مقدمة من أجل تأصيل التسامح بين المسلمين، مصطفى بن حمزة، جامعة الصحوة الإسلامية الدورة الثالثة شعبان/يناير 1994 في موضوع مفهوم التسامح في البناء الحضاري الإسلامي

- مكانة الإنسان المكلف في المناهج الاجتهادية، محمد فاروق النبهان، مجلة دار الحديث الحسنية، العدد 14، 1997/1418.
- من مرتكزات الخطاب الدعوي في التبليغ والتطبيق، عبد الله الزبير عبد الرحمن، ط1، كتاب الأمة عدد56
- مناظرات ابن تيمية لأهل الملل والنحل، جمع وتعليق: عبد العزيز بن محمد بن علي آل عبد اللطيف، نشر مطابع أضواء المنتدى ط/1، 1426 هـ - 2005 م .
- المنحى الاعتزالي في البيان وإعجاز القرآن، أحمد أبو زيد، ط/1، مطبعة المعارف للنشر والتوزيع،1986
- منهج الشيخ محمد رشيد رضا في العقيدة، تامر محمد محمود متولي، ط/1، دار ماجد عسيري 1425هـ-2004م ..
- الموطأ، الإمام مالك بن أنس الطبعة الخامسة، دار الآفاق الجديدة، المغرب، 1999.
- نظرية التقعيد الفقهي وأثرها في اختلاف الفقهاء، محمد الروكي، منشورات كلية الآداب الرباط1994 .

فهرس الموضوعات

المقدمة:		1
	أهمية البحث	3
	دواعي اختيار البحث	4
	أهداف البحث	5
	إشكالية البحث	5
	أسباب اختيار نموذج الدراسة	6
	الدراسات السابقة	6
	منهج البحث	7
	خطة البحث	8
تمهيد: الحوار، مفهومه ومشتقاته ومواصفاته ووظائفه		9
	أولا: التعريف بالشيخ محمد رشيد رضا وتفسيره	10
	ثانيا: مفهوم الحوار ومشتقاته في القرآن الكريم	10
	ثالثا: حكم الحوار ومواصفاته ووظائفه	20
	رابعا: وظائف الحوار	27
الفصل الأول: أصول الحوار في القرآن الكريم من خلال تفسير المنار		33
	المبحث الأول: التزام الحجج والأدلة العقلية	34
	أولا: تقديم الأدلة المُثبِتة أو المرجِّحة للدعوى	34
	ثانيا: النظر في أحوال المعاصرين، والاعتبار بسير الغابرين	39
	ثالثا: الانقياد للحجة وعدم التعنت في قبول الحق	40
	رابعا: الاتفاق على منطلقات ثابتة وقضايا مُسَلَّمة	42
	المبحث الثاني: التجرد، وسلامة الكلام من التناقض	45
	أولا: تجنب العناد وآفة التقليد	46
	ثانيا: طلب الحق واجتناب الظن	48
	ثالثا: وضع الكلم في مواضعه	55

	رابعا: العدل والإنصاف مع المخالف	58
الفصل الثاني: ضوابط الحوار في القرآن الكريم من خلال تفسير المنار		63
المبحث الأول: أهلية المحاور		64
	أولا: فقه لغة الحوار	65
	ثانيا: ضابط المعرفة والعلم	68
	ثالثا: فقه القول وحل عقدة اللسان	71
	رابعا: انشراح الصدر	75
المبحث الثاني: الفصل بين شخص المحاور وموضوع الحوار		77
	أولا: الاعتراف بالآخر	78
	ثانيا: احترام الآخر (الخلاف الزوجي أنموذجا)	81
	ثالثا: تجنب الإعجاب بالنفس	84
	رابعا: إرادة الإصلاح بين المختلفين	86
فهرس الآيات		84
لائحة المراجع		93
فهرس المحتويات		97

انتهى بحمد الله وتوفيقه